

الحجة البالغة

تأليف

السيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي قدس سره

١٢١٢ - ١٢٥٩هـ

طبع بأمر وإشراف

الحكيم الإلهي والفقيه الرباني

المولى الحاج ميرزا عبد الله الحائري الأحقاقي

دامت بركاته

مراجعة وتحقيق

لجنة السيد الأمجد

لإحياء تراث الشيخ الأوحد والمشايخ العظام

أعلى الله كلمتهم

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ

مكتبة العذراء

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ

مكتبة العذراء

بنيد القار

ت : ٢٥١٧١٨٠





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوضح السبيل بإقامة البرهان والدليل وأبطل حجج أهل الضلال والتضليل ببيّنة واضحة عظيمة منه وهو الرسول السيد الجليل والمولى النبيل وآله وخلفائه الذين بهم صان الوجودين عن التغيير والتبديل.

أما بعد : فيقول العبد الجاني والأسير الفاني المقّيد بوثاق الآمال والأماني كاظم ابن قاسم الحسيني الرشتي : أن السيد السند والأخ المعتمد السيد محمد بن السيد حسن الحسيني قد كتب إليَّ كتاباً على طريقة أصحاب السلوك محصّله الرد على النصارى واليهود وإثبات نبوة محمد ﷺ سيد الأنبياء وإثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته وخلافة أولاده وأوصيائه سادة الأولياء وتزييف الباطل فيما اختلفت فيه الفرقة المحقّة بما ينسب ويتصل بهؤلاء الأئمة الأمناء عليهم سلام الله ما دامت الأرض والسماء.

وقد أتاني كتابه في حال تبلبل البال واختلاف الأحوال وعروض الأمراض المانعة من استقامة الحال وابتلائي بمكايدة الأحوال والشدائد ومقاسات أهل المكائد وفي مثل هذه الحالة ما عسى أن أقول في مثل هذا المقام الصعب من الرد والقبول .

فبادرت إلى ذكر بعض الكلمات والإتيان بما هو الميسور لأنه لا يسقط بالمعسور وها أنا أذكر كلماته بألفاظها ولم أتعرض إلاّ لشرح ما هو محل السؤال والله المستعان على كل حال .

قال بعد البسملة : يا مولانا أسأل الله الجليل أن يجعلك هادياً إلى السبيل وأن يرينا الحق حقاً حتى نتبعه والباطل باطلاً حتى نجتنبه .

وجوب وجود الحجة

أقول : إن الله –سبحانه– يجب أن يجعل –دائماً– في الخلق عَلَم هداية ورشاد ودليلا بين العباد لأن الله –سبحانه– بعد أن أنزل الخلق من عالم الأرواح إلى عالم



الأجسام ومن عالم السعة إلى عالم الضيق ومن عالَم العِلْم إلى عالَم الجهل ليريهم قدرته ويبين لهم حكمته ويعّرفهم ضعفهم ونقصانهم حتى يقّروا بربوبيته فأتى بهم إلى هذه الدار المظلمة الغاسقة المكدّرة المدلّهمة .

ثم جعل -سبحانه- لهم أدّلاء راشدين وعلماء مستحفظين وحفّاظاً معصومين حتى يبين لهم ما جهلوا ويردعهم إذا تعدّوا ويظهر لهم الحق إذا عموا ولم يجعلهم في الحيرة هائمين ولا في الجهل مغمورين بل بعث لهم علماء ذاكرين فقال لهم : ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(1) وقال تعالى ﴿ فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(2) .

فلم يزل رسل الله تترى يتلو بعضهم بعضاً يهدون الخلق إلى الله ويدلّونهم إلى سبيله حتى تتم حجة الله وتكمل نعمة الله ولئلا يقولوا ﴿لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى﴾(3) .

إلى ان انتهت النوبة إلى محمد ﷺ صاحب النور الأبهر والجبين الأزهر وحامل الاسم الأكبر فقام فيهم هادياً مهدياً وكان بالمؤمنين عطوفاً رحيماً ووليًاً حفياً .

فلما انتهت أيامه ولم تظهر كمال الظهور أحكامه أقام نفسه مقامه ، ولم يزل الخلفاء والأوصياء بين أظهر الخلق لهدايتهم ودلالتهم إلى أن مدَّ الجور باعه وأسفر الظلم قناعه ودعى الغي أتباعه فلّبوه في كل مقام وأعرضوا عن أولئك الأعلام -عليهم من الله آلاف التحية والسلام- إلى أن قُتل من قُتل منهم وسُبي من سُبي .

لا بد للإمام الغائب من نائب وباب

إلى أن اقتضت المصلحة لآخرهم الغيبة فغاب عن أبصار الناس الذين يوسوس في صدورهم الخناس ، فما اقتضت حكمة الحق -سبحانه- أن يجعل الخلق مع ذلك في ظلمة بهماء وحيرة صمّاء لا يمكنهم الاهتداء إلى السبيل ولا يسعهم مشاهدة الحق إن راموه بالدليل إكمالاً للنعمة لهم وإتماماً للحجة عليهم .

فجعل للغائب المُنتظر والنور المستتر نواباً وأبواباً هم العلماء الراشدون والأمناء

(1) النحل ٤٣ .
(2) النساء ٦٥ .
(3) طه ٣٤ .



المهتدون قواماً للدين المبين وأركاناً للشرع المتين وجعلهم أوعية لسره وخزنة لبعض علمه الذي تحتاج إليه رعيته وهم ((القرى الظاهرة)) للسير إلى ((القرى المباركة)) فقال تعالى :(وجعلنا بينهم) أي بين الخلق (وبين القرى التي باركنا فيها) وهم الأئمة عليهم السلام (قرى ظاهرة) وهم أولئك الأعلام من العلماء الكرام[1] الذين يتأدبون بآداب أئمتهم وينهجون منهجهم هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان فاستلانوا من أحاديثهم ما استوعر على غيرهم وأنسوا بما استوحش منه المكذّبون وأباه المسرفون[2] أولئك أتباع الإمام وللدين عصام وللشرع قوام والهداة للأنام .

(١) في وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٥٢ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الطَّبْرِسِيُّ فِي كِتَابِ الْإِحْتِجَاجِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ نَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لِمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يَأْتُونَا فَقَالَ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ الْقُرَى الظَّاهِرَةُ الرُّسُلُ وَ النَّقَلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا وَ فُقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا وَ قَوْلُهُ وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ يَسِيرُ بِهِ لَيالِيَ وَ أَيَّاماً مَثَلًا لِمَا يَسِيرُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ الْفَرَائِضِ آمِنِينَ فِيهَا إِذَا أَخَذُوا عَنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا عَنْهُ آمِنِينَ مِنَ الشَّكِّ وَ الضَّلَالِ وَ النُّقْلَةِ إِلَى الْحَرَامِ مِنَ الْحَلَالِ فَهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ عَمَّنْ وَجَبَ لَهُمْ بِأَخْذِهِمْ عَنْهُمُ الْمَغْفِرَةُ(لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا ذُرِّيَّةٌ مُصَفَّاةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَلَمْ يَنْتَهِ الِاصْطِفَاءُ إِلَيْكُمْ بَلْ إِلَيْنَا انْتَهَى وَ نَحْنُ تِلْكَ الذُّرِّيَّةُ لَا أَنْتَ وَ لَا أَشْبَاهُكَ يَا حَسَنُ)

وفي مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٣١٦ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ فِي تَأْوِيلِ الْآيَاتِ، نَقْلًا عَنْ تَفْسِيرِ الثِّقَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْمَاهْيَارِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هَوْذَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ النَّهَاوَنْدِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمَّادٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ ع قَالَ دَخَلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ع فَقَالَ لَهُ يَا أَخَا أَهْلِ الْبَصْرَةِ بَلَغَنِي أَنَّكَ فَسَّرْتَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَلَى غَيْرِ مَا أُنْزِلَتْ فَإِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ فَقَدْ هَلَكْتَ وَ اسْتَهْلَكْتَ قَالَ وَ مَا هِيَ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ كَيْفَ يَجْعَلُ اللهُ لِقَوْمٍ أَمَاناً وَ مَتَاعُهُمْ يُسْرَقُ بِمَكَّةَ وَ الْمَدِينَةِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ رُبَّمَا أُخِذَ عَبْدٌ أَوْ قُتِلَ وَ فَاتَتْ نَفْسُهُ ثُمَّ مَكَثَ مَلِيّاً ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَ قَالَ نَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا إِلَى أَنْ قَالَ قَالَ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْقُرَى الظَّاهِرَةِ قَالَ شِيعَتُنَا يَعْنِي الْعُلَمَاءَ مِنْهُمْ قَوْلُهُ سِيرُوا فِيها الْآيَةَ

وفي بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٣٢ عن أبي حمزة الثمالي قال أتى الحَسَن البَصري أبا جعفر ع فقال جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله فقال له أبو جعفر ع ألست فقيه أهل البصرة قال قد يقال ذلك فقال له أبو جعفر ع هل بالبصرة أحد تأخذ عنه قال لا قال فجميع أهل البصرة يأخذون عنك قال نعم فقال له أبو جعفر ع سبحان الله لقد تقلدت عظيما من الأمر بلغني عنك أمر فما أدري أ كذاك أنت أم يكذب عليك قال ما هو قال زعموا أنك تقول إن الله خلق العباد ففوض إليهم أمورهم قال فسكت الحسن فقال أ فرأيت من قال الله له في كتابه إنك آمن هل عليه خوف بعد هذا القول فقال الحسن لا فقال أبو جعفر ع إني أعرض عليك آية و أنهي إليك خطبا و لا أحسبك إلا و قد فسرته على غير وجهه فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت و أهلكت فقال له ما هو قال أ رأيت حيث يقول وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ يا حسن بلغني أنك أفتيت الناس فقلت هي مكة فقال أبو جعفر ع فهل يقطع على من حج مكة و هل يخاف أهل مكة و هل تذهب أموالهم فمتى يكونون آمنين بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن فنحن القرى التي بارك الله فيها و ذلك قول الله عز و جل فمن أقر بفضلنا حيث أمرهم الله أن يأتونا فقال وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها أي جعلنا بينهم و بين شيعتهم القرى التي باركنا فيها قُرىً ظاهِرَةً و القرى الظاهرة الرسل و النقلة عنا إلى شيعتنا و فقهاء شيعتنا إلى شيعتنا و قوله وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ فالسير مثل للعلم سيروا به لَيالِيَ وَ أَيَّاماً مثل لما يسير من العلم في الليالي و الأيام عنا إليهم في الحلال و الحرام و الفرائض و الأحكام آمِنِينَ فيها إذا أخذوا من معدنها الذي أمروا أن يأخذوا منه آمِنِينَ من الشك و الضلال و النقلة من الحرام إلى الحلال لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم بأخذهم إياه عنهم المغفرة لأنهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا ذرية مصطفاة بعضها من بعض فلم ينته الاصطفاء إليكم بل إلينا انتهى و نحن تلك الذرية لا أنت و لا أشباهك يا حسن فلو قلت لك حين ادعيت ما ليس لك و ليس إليك يا جاهل أهل البصرة لم أقل فيك إلا ما علمته منك و ظهر لي عنك و إياك أن تقول بالتفويض فإن الله جل و عز لم يفوض الأمر إلى خلقه وهنا منه و ضعفا و لا أجبرهم على معاصيه ظلما.

(٢) الإرشاد ج ١ ص ٢٢٧ عن كميل بن زياد رحمه الله أنه قال أخذ بيدي أمير المؤمنين ع ذات يوم من المسجد حتى أخرجني منه فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ عني ما أقول الناس ثلاثة عالم رباني و متعلم على سبيل نجاة و همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجئوا إلى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك و أنت تحرس المال و المال تنقصه النفقة و العلم يزكو على الإنفاق يا كميل صحبة العالم دين يدان به و به تكملة الطاعة في حياته و جميل الأحدوثة بعد موته و العلم حاكم و المال محكوم عليه يا كميل مات خزان الأموال و هم أحياء و العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة و أمثالهم في القلوب موجودة هاه هاه إن هاهنا علما جما و أشار بيده إلى صدره لو أصبت له حملة بل أصيب لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين للدنيا و يستظهر بحجج الله على أوليائه





فيجب على الخلق اتباعهم والتجنب عن خلافهم لأنهم العدول الذين ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وقد وصف الله سبحانه شأن من خالفهم وأعرض عنهم بقوله الحق تعالى ﴿فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا﴾ يعني: ليس لنا حاجة إلى هؤلاء الأعلام بل نصل إلى الأئمة عليهم السلام من دون الاقتداء بهم والأخذ عنهم .

فأخبر الله -سبحانه- عن سوء حال هؤلاء القائلين وقبح عاقبة المعرضين الخاسرين بظلمهم أنفسهم وتنكّبهم عن جادة الهداية الموضوعة لهم فقال سبحانه ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[1] باختلاف آرائهم واختلاف أهوائهم وعدم اهتدائهم إلى الحق الواحد وجعلهم صدورهم ضيقة حرجة كأنما تصّعد في السماء .

ولكن في هذا الزمان حصل مدّعون يدّعون كل يقول أنا ذلك العَلَم المنصوب للهداية من جانب صاحب الولاية مع اختلاف آرائهم وتباين أهوائهم .

وكل يدّعي وصلاً بليلى
وليلى لا تقرّ لهم بذاكا
إذا انبجست دموع في خدود
تبيّن من بكى ممن تباكا

لا بد للنائب والباب من علامات

وحيث أن الحق لا بدَّ أن يكون ظاهراً وطريقه مهيعاً وجب أن يكون لحامل الحق والناطق بالصدق ونائب الإمام عليه السلام والحاكم عنه عليه السلام بين الأنام دلالات وعلامات بها يتّبين الحق من الباطل والموافق من المنافق والصديق من العدو ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة .

و بنعمه على كتابه أو منقادا للحكمة لا بصيرة له في إخباته يقدح الشك له في قلبه بأول عارض من شبهة ألا لا ذا و لا ذاك فمنهوم باللذات سلس القياد للشهوات أو مغرم بالجمع و الادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شبها بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الأرض من حجة لك على خلقك إما ظاهرا معلوما أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجك و بيناتك و أين أولياؤك الأقلون عددا الأعظمون قدرا بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الإيمان فاستلانوا روح اليقين فأنسوا بما استوحش منه الجاهلون و استلانوا ما استوعره المترفون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه و حججه على عباده ثم تنفس الصعداء و قال هاه هاه شوقا إلى رؤيتهم و نزع يده على يدي و قال لي انصرف إذا شئت .

(١) سبأ ١٩ .



وهذه العلامات والدلات على قسمين : إجمالية وتفصيلية فالإجمالية نقدم بيانها الآن والتفصيلية نؤخرها ليكون بدو هذه الرسالة وختمها كوضعها لبيان الهادي إلى الحق والدال عليه والشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين بإذن ربها .

العلامة الإجمالية

فأقول : أما العلامة الإجمالية : فهي التي أشار إليها مولانا الصادق عليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المحل على ما قالوا في هذه المقبولة في مقام الشهرة فقال عليه السلام: (انْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ مِنْكُمْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا وَ نَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَ حَرَامِنَا وَ عَرَفَ أَحْكَامَنَا فَارْضَوْا بِهِ حَكَماً فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِماً فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ فَإِنَّمَا بِحُكْمِ اللَّهِ قَدِ اسْتَخَفَّ وَ عَلَيْنَا رَدَّ وَ الرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ)[1] الحديث .

وشرط الإمام عليه السلام لهذا الحاكم الذي جعله الله سبحانه للخلق . وجعل الراد عليه كالراد عليه -سبحانه- ثلاثة شروط :

الشرط الأول : أنه يروي حديثهم وينقطع عن كلّ ما سواهم ويستأنس بحديثهم ويميل قلبه إليهم حتى يحصل له بمزاولة رواياتهم وممارسة أحاديثهم عقلاً شرعياً إلهياً وتستأنس قواه ومشاعره بكلماتهم ورواياتهم لتحصل بها له الطبيعة الشرعية الإلهية فإن الطبيعة تأخذ بمجرد الممارسة والمجاورة كما قال الشاعر :

عاشر أخا ثقة تحضى بصحبته
فالطبع مكتسب من كل مصحوب
كالريح آخذة مما تمر به
نتناً من النتن أو طيباً من الطيب

ولذا قالوا عليهم السلام (علِّموا صبيانكم أحاديثنا قبل أن تسبق إليهم المرجئة)[2] .

فإذا اشتغلت برواية أحاديثهم والنظر في رواياتهم ومعرفة مقاماتهم ومراتبهم

---

(١) الكافي ج ٧ ص ٤١٢ .
(٢) مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي الْخِصَالِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيٍّ ع قَالَ (عَلِّمُوا صِبْيَانَكُمْ مِنْ عِلْمِنَا مَا يَنْفَعُهُمُ اللهُ بِهِ لَا تَغْلِبْ عَلَيْهِمُ الْمُرْجِئَةُ بِرَأْيِهَا).





تطيب الطبيعة وتحسن الفطرة وتميل إلى الاستقامة ويذهب عنها الاعوجاج باعتدال المزاج فتقبل ما وافقهم عليه السلام وتنكر ما خالفهم وتستأهل استئهالاً تاماً لقبول الفيوضات النازلة منهم عن الله الواصلة إليها . وهذا هو الشرط الأعظم .

الشرط الثاني: النظر في حلالهم وحرامهم.

الحلال : ما كان متعلق الأمر الإلهي سواء كان إلزامياً أو غير إلزامي ويدخل فيه المباحات التي هي عبارة عن الرخص .

والحرام : ما تعلق به النهي سواء كان تحريمياً أو تنزيهياً وهذا ليس خاصاً بأفعال المكلفين من عباداتهم ومعاملاتهم من عقودهم وإيقاعاتهم ، وحدودهم وأحكامهم بل جميع الذرات الوجودية في جميع الموضوعات والعلوم لهم عليها أمر ونهي فيتحصل بذلك فيه حلال وحرام .

فالشخص الإلهي الذي حصلت به الفطرة الشرعية الإلهية يجب أن لا ينظر ولا يتوجه إلاّ إلى حلالهم وحرامهم ، وكل الأشياء من (الوجوديات) و(الشرعيات) لا تخرج عنها لأن الأشياء إما قبلت ولايتهم لما عرضت عليها أو أنكرت إياها ، وافقت محبتهم أو خالفت .

فالموافق القابل هو متعلق الحلال على اختلاف الجهات والمراتب والمقامات . والمخالِف المنكِر هو متعلق الحرام كذلك. فالوجودات التكوينية كلها إما حلالهم أو حرامهم فيجب على العالم القائم مقامهم عليه السلام النظر في حلالهم وحرامهم، ويقتصر عليهما ولا يلتفت إلَى ما ليس يرجع إليهم وينتسب إليهم من دواعي الإنيات وجهات الماهيات من العلوم الرسمية التي لا تنسب إلى نبي ولا ولي بل يشارك في الخوض فيها والبحث عنها كل كافر ملحد ردي فالذي يشارك العامة لا يتفرد به الخاصة .

ولما كان لا كل من نظر وصل ، ولا كل من وصل عرف فشرط عليه السلام الشرط الثالث وهو قوله عليه السلام (عرف أحكامنا) والأحكام جمع مضاف يفيد العموم الاستغراقي الشامل لجميع الأفراد فيكون الناظر في حلالهم وحرامهم يجب أن يعرف جميع أحكامهم فإن لهم سلام الله عليهم حكما في كل شيء فإن لم يعرفها



لا يقدر على رد الغالين وانتحال المبطلين ، فإن أهل الباطل لهم في كل شيء طريق إلى إظهار باطلهم لأن كل شيء له جهة ظلمة يناسب بها أهل الباطل فلا بد أن يكون هذا الحاكم عارفاً بمحال ظهور الأبالسة والشياطين ولا تطرد الشياطين إلا بنور الولاية الظاهرة في جهة النور من الشيء فيتوقف حفظ دينهم على معرفة جميع أحكامهم عليهم السلام ولا تعرف جميع أحكامهم عليهم السلام إلا بكمال الاتصال بهم عليهم السلام في العلم والعمل لأن أمير المؤمنين عليه السلام قال ((ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسُئِلَ مسألة إلا ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة)) .

والمحبة تنافي مخالفة المحبوب ونسيانه وإنكار فضل من فضائله ومقام من مقاماته فيقول عنهم ويشير إليهم ويستدل بهم ويدل عليهم ويدعو إليهم ويأخذ عنهم ويعتمد عليهم وينقطع إليهم ويعرف بهم ويسلك منهجهم ويقفو أثرهم ؛

إليكـم وإلاّ لا تشـد الركائـب
ومنكـم وإلاّ لا تنـال الرغـائب
وفيكـم وإلاّ فالحديـث مخلـق
وعنكـم وإلاّ فالمحدّث كـاذب

وهذا مجمل المقال في العلامة الإجمالية : فإذا وجدت هذه العلامات في الشخص فاعلم يقيناً أنه الهادي إلى الطريق القويم والمرشد إلى النهج المستقيم والقرية الظاهرة للسير إلى القرى المباركة والحاكم العادل عن السلطان العادل فتمسك به ولا تتخلف عنه فتكون من الهالكين فافهم هذه المقدمة النافعة وكن من الشاكرين .

وهذا العالِم هو الذي يهدي إلى السبيل ويرى الحق حقاً والباطل باطلاً ليهلك من هلك عنَ بينة ويحيى من حيي عن بينة نسأل الله سبحانه أن يجيب دعوتك ويجعلنا من أولئك الكاملين الهداة المهديين ويخلصنا في معرفتهم بحقهم وبشأنهم -صلى الله عليهم- .

قال سلّمه الله تعالى : أُخبر جنابكم بأن الحقيركأني كنت نائماً واستيقظت ليلاً فأول وقوع نظر عين بصيرتي على نفسي وعلى تصويرها وتكوينها وتفصيل ظاهرها وباطنها وإذا هناك أمر عظيم لا يدركه أحد من الناس .





في معنى النوم واليقظة والليل

أقول : قوله :كأني كنت نائماً يريد به الغفلة والجهل فإن النائم وإن كان يتنفس تنفساً ينبيء عن الحياة لكنه غافل ذاهل مُعطل الحواس والمشاعر له قلب لا يعقل به وله عين لا يبصر بها وله أذن لا يسمع بها غافل عن أحوال نفسه غفلة تامة وإلى هذا المعنى يشير قوله عليه السلام (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا)[1] .

وقوله : واستيقظت ليلاً والمراد به التنبيه والاستشعار بمقام نفسه وعجائب خلقه وأنحاء الروابط والقرانات والصور والهيئات بمراتب الاتصالات والانفصالات والوحدات والكثرات وأنحاء الإحاطات من الصورية والمعنوية وربط الماديات بالمجردات وقران العلويات بالسفليات واتصال الأسباب بالمسببات والعلل بالمعلولات وظهور المدبر المصور في هذه المصنوعات وهو استيقاظ بعد المنام.

وإنما قال : ليلاً لأن التنبيه إجمالي وإجماله ما تفصّل وإبهامه ما تبيّن .

نعم عرف أن له صانعاً ولكنه لم يعرف توحيده وأركان التوحيد ومظاهر التجريد والتفريد ووسائط الفيوضات والأسباب الموصلات والموانع القاطعات وشروط (لا إله إلا الله) وحملتها ومظاهرها وأركانها وأفعالها ومظاهر أفعالها وأسمائها ومظاهر أسمائها وجهات حكمتها ونسبة كينونة العباد إليها وأبوابها ومعاني أبوابها وأبواب أبوابها. وهو في الجهل مقيم في ليل بهيم وفي وادي الحيرة يهيم، ولذا قال سلمه الله: استيقظت ليلا .

قال سلمه الله تعالى: فعلمت أن المنشيء والمحرّك والمسّكن لها غيرها ومع ذلك وجدتها عاجزة قاصرة محتاجة إلى مدبر غيرها من جميع الوجوه وكل الجهات ومع هذا كله أراها مُدبرة بأحسن تدبير فعلمت علماً قطعيا بأن المدبر لها وذي المنن عليها هو الذي أنشأها أول مرة .

فقلت في نفسي : هذا الحكيم ما يصنع عبثاً وأن هذا المنعم عليَّ يستحق أن أكون معرضاً نفسي لأنواع خدمته ولكني إن أصبحت سألت عنه ممن هو أعرف مني به وبخدمته إن حصل لي ذلك .

(١) عوالي اللآلي ج ٤ ص ٧٣ .





معنى الصباح

أقول : هذا الكلام محكم لا شك فيه ولا خفاء ومراده بهذا الصباح الأخذ في التنبيه التفصيلي لمعرفة أحكامه وشريعته المتوقفة على معرفة المُبلغ المتوقفة على تعيينه وتشخيصه ليكون بابه إلى مبدئه وصانعه ، فقصد بذلك معرفة النبي والولي والحامل لعلمهما الموصل إلى ولايتهما.

وحيث أنه قريب الوصول والمنال وما كان حاصلاً له في الحال أتى بالشرطية معبراً عنها (بأن) دون (لو) لتحقق وقوعه وترتب وصوله وأن الله سبحانه لا يخّيب من قصد بابه مؤملاً وأناخ بفنائه راجياً. وقد وعد وهو سبحانه لا يخلف الميعاد بقوله ﴿ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[1] وقوله ﴿وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[2] . وقوله تعالى ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ * فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾[3] . ومن هذه الجهة زاد تنبهاً وطلع له الفجر اليقين .

قال : فلما أصبحت تهيأت للخروج هائماً لعلي أصادف من أطلبه فإذا كأني بأبي واقف على باب الدار فسألني ما بالك ؟

فذكرت له مقصودي وإذا يتكلم معي بكلام لا يسمن ولا يغني من جوع فتركته وذهبت أطلب مرادي فتبعني أبي خوفاً عليَّ .

الآباء أربعة

أقول : المراد بالأب أب التربية لا أب العقل ولا أب النفس الأمارة بالسوء ولا أب الجسم والجسد لأن الآباء أربعة :

أب العقل وهو محمد ﷺ وعلي عليه السلام.

وأب النفس الأمارة بالسوء وهو أبو الدواهي وأبو الشرور .

وأبوا الجسم والجسد وهو آدم وحواء.

وأب التربية وهو العادات والأخلاق والأحوال التي نشأ عليها فيجري

---

(١) العنكبوت ٦٩ .

(٢) النحل ٩ .

(٣) القيامة ١٦ – ١٩ .

في أفعاله على عاداته وأحواله ولا يلتفت إلى غيرها . والعادة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة وهذه العادة ليست بثابتة ولا عليها برهان ولا دليل ومن هذه الجهة قال : كأني بأبي واقف على باب الدار فإن الإنسان إذا أراد السير والسلوك إلى الله والتوجه إلى المبدأ الأعلى يصعد من الأسفل إلى الأعلى . فأول ما يجب عليه أولاً رفع العادات التي تربى عليها ونشأ فيها .فأب التربية والعادات واقف على باب الدار أي دار نفسه ومحل رمسه فإذا رأت العادات أن المعتاد يروم تغييرها وتركها وأخذ الحقيقة يشق عليها فتسأل من ذلك ؟ ولذا قال : سألني ما بالك ؟

ولما أن العادة المربية ليست مأخوذة عن دليل وبرهان وحجة وبيان قال : فإذا يتكلم معي بكلام لا يسمن ولا يغني من جوع . فلما أخذ في الطلب من الله سبحانه لأنها كانت عادة حسنة مطابقة للحق وإن لم تكن مع طمأنينة وثبات .

قال : وإذا كأني قد عارضني في الطريق رجل ظاهر عليه الصلاح لحي مسن فظننته من أهل المعرفة بمطلوبي وقد سألته عن حاله وأخبرني بأنه حبر من أحبار اليهود ومن عادته إرشاد المسترشدين إلى سبيل رب العالمين فأظهرت له فرحي عند ذلك قال لي:كأنك مسترشد ؟ أجبته : نعم.

فقال : توجه إليَّ وأحضر ذهنك لديّ اعلم أن المنعم المفضل الذي تسأل عنه هو الله سبحانه الجامع للصفات الحسنة والمنّزه عن العكس وهو قادر مطلقاً قاهر مطلقاً خالق مطلقاً رازق مطلقاً حي أبداً وهكذا وأن نعمه لا تعد ولا تحصى يشهد بها العقل السليم وجميع الكتب السماوية وإني الآن أرشدك إلى طريق قريب يوصلك إلى رضاه وإن أنت عدلت عنه إلى غيره فلن تصيب حينئذ إلا الضلال .

ثم ليكن معلومك أن لا خلاف بين الموحدين لله في أنه أوعدنا وتوعدنا أوعدنا بالسلطنة غداً وأي سلطنة في جنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إن نحن أطعناه فيما يأمره وينهاه وإن كان هو غير محتاج لذلك وتوعدنا بالعذاب الشديد فياله من عذاب في نار وقودها الناس والحجارة شجرتها لا تنطفيء بل لا زالت تتأجج وتزيد ويقال لها: هل امتلأت وتقول هل من مزيد إن نحن خالفناه إلى ما لا يحبه ولا يرضى وإن



كان لا يضره ذلك.

فحينئذٍ -يا مقتدانا- صرت راجياً خائفاً مع ما كنت عليه من الرأي الذي ذكرت لكم سابقاً فإذن كل عاقل لا يختار إلا الطاعة لكونها جنة ومن أعظم السوء مناعة ولجلب الخير أحسن من كل بضاعة وحينئذ علّمني ذلك الحبر شريعته وأوصاني وأكد وصيته بأن لا تجعل واسطتك بينك وبين بارئك وموجدك ومنشئك غير كليم الله موسى بن عمران وخذ حذرك من كل شيطان من الإنس والجان أن يخدعوك أو يغروك عما أنت عليه من شريعة الحق واعلم أن شياطين الإنس هم النصارى وكل من سلك شريعة غير شريعة اليهود.

في إبطال قول اليهود وكيفية إغوائهم

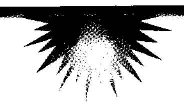
أقول : ما ذكره هذا الحبر من صفة الله سبحانه وأنه كامل جامع لجميع الصفات الحسنة والمنزه عن جميع النقائص كلام صحيح أتى به تمويهاً واستجلاباً إلى باطله وما يتفرع عليه من مذهبه السخيف فإن أهل الباطل لا يسعهم إغواء طغام الناس إلاّ بأن يمزجوا بباطلهم حقاً ويصوروه بصورة الحق وإن قصدوا به الباطل ، ولذا قال السامري ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾[1] . ولولا تلك القبضة التي قبضها من تحت حافر فرس جبرائيل عليه السلام حيزوم فرس الحياة ما خار العجل ولا تمكن مما أراد من إغواء بني إسرائيل ولذا لما رأى أمير المؤمنين عليه السلام حسن البصري يكتب في أثناء خطبته عليه السلام قال عليه السلام (ما تكتب يا حسن ؟. قال : أكتب آثارك يا أمير المؤمنين . ثم التفت عليه السلام عنه إلى الناس وقال : أيها الناس ان لكل قوم سامري وهذا سامري هذه الأمة حيث قال (قبضت قبضة من أثر الرسول) انتهى ما نقلته من معنى الحديث .

فهو إنما أخذ آثار أمير المؤمنين عليه السلام ومزجها بباطله وأغوى بها خلقاً كثيراً ودعى الناس إلى نفسه فاتخذوه معبوداً من دون الله لأن الصادق عليه السلام يقول (مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللهَ وَ إِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ)[2] وهو عجله الذي دعى الناس

(١) طه ٩٦ .

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٣٤ .





إليه بما عنده من آثار أمير المؤمنين عليه السلام قد مزجها بهوى نفسه ﴿وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ﴾[1] .

وكذلك هذا الحبر إنما ذكر هذه الكلمات الحقة لتشييد باطله وللتمويه على الضعفاء من المسلمين وإلاّ فهم لا يثبتون لله الصفات الكمالية مطلقاً ولا ينزهونه عن النقائص كيف لا وهم الذين قالوا : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ﴾[2] وهم الذين قالوا ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[3] . فالذي يتخذ لله ولداً ويثبت له الفقر فكيف يصفه سبحانه بالصفات الكمالية ؟

فإن قلت : من أين تعلم ذلك وهو مذكور في القرآن واليهود لا يصدقون القرآن ؟

قلت : هب أنهم لا يصدقون القرآن أنه من الله سبحانه أليس محمد صلى الله عليه وآله هو الذي أتى به أليس ذكر فيه ﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ﴾[4] فلو كان هذا الذي نسبه إلى اليهود باطل غير واقع لكان ذلك أعظم حجة على بطلان هذا الدين وهذه الشريعة لأنه أتى بكذب صريح وهو يقول في القرآن ﴿ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ ﴾[5] وهلاّ احتج أهل خيبر وبنو قريضة عليه صلى الله عليه وآله بهذه الحجة الواضحة وأظهروا كذبه وأبطلوا نبوته وما احتاجوا إلى الحرب الفضيع والقتل الشنيع . ونهب الأموال وأسر العيال وذل الجزية والصغار . وحيث أنهم لم يكذبوه بل أقروا على ما نسبه إليهم علمنا أن هذا كان معتقدهم .

وكذا قولهم : أن يد الله مغلولة وأن الله قد فرغ من الأمر وهو معطّل عن الإيجاد وأي نقص أعظم من هذا وأمثاله من العقائد الفاسدة والآراء الكاسدة التي لهم .

فهم لا يصفون الله بصفة الكمال وأي كمال للفقير الذي له ولد ويداه مغلولة ولكن هذا الحبر من جهة إغواء هذا السيد ذكر هذا الكلام حتى لا يستوحش ويميل

---

(١) البقرة ٩٣ .

(٢) آل عمران ١٨١ .

(٣) التوبة ٣٠

(٤) فصلت ٤٢ .

(٥) آل عمران ٦١ .



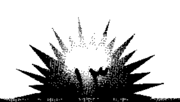
قلبه إليه حتى يجذبه إلى باطله ولم يعلم أن لموسى هذه الأمة عصى إذا ألقاها تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

وكذا وصف هذا الحبر عذاب النار وأنها لا تنطفي بل لا زالت تتأجج وتزيد وإن كان هو الصحيح في الواقع لكنه هو كاذب في هذه الدعوى لأن اليهود يقولون (﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾[1] فالذي يعتقد أن النار لا تصيبه إلا أياماً معدودة فأي خوف له منها وكيف يقول نارها لا تنطفيء فتبين لك بما ذكرنا أن قصد هذا الحبر وأمثاله التمويه والتلبيس وشأنهم الكذب والإلحاد ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[2] .

وأما الدعوى التي ادعاها بألا تجعل واسطة بينك وبين بارئك غير كليم الله موسى بن عمران فمحض دعوى ما قام عليها برهان ولا دليل إذ لو ادعى عليه مدّع وقال له وأوصيك بأن لا تجعل بينك وبين بارئك وموجدك واسطة غير خليل الله إبراهيم عليه السلام فماذا يقول وماذا يكون جوابه إذ لا شك أنه يقر بنبوة إبراهيم خليل الله وأنه صاحب الشريعة وأنه مبعوث من الله الجليل فما الذي عدل به إلى شريعة موسى وقال بنسخ شريعة إبراهيم وإثبات شريعة موسى إن كان لمحض التشهي وهوى نفسه فلا يعتب على غيره ولا يلومه ولا يحذر عن عذاب النار التي لا يعتقد بقاءها ولا دوامها إن قالوا بشريعة موسى ثم عدلوا عنها إلى شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن قال إن العدول إنما كان ببرهان أن موسى عليه السلام ادّعى النبوة وأتى بالآيات التسع والمعجزات التي عجز عنها غيره فعرفنا أنه مبعوث عن الله وداع إلى الله وأنه مصدق بالأنبياء من قبله وأن شريعته نسخت تلك الشرائع للأنبياء الماضين المرضيين نقول هذا بعينه يقال في حق شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد ادّعى صلى الله عليه وآله وسلم النبوة وأتى بما لم يأت بمثله غيره من المعجزات وخوارق العادات فعرفنا أنه من الله وإن شريعته ناسخةً لشرائع من قبله .

فإن قلت: إن معجزات موسى ثبتت ووضحت دون معجزات محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولذا لم نقل به وقلنا بموسى.

(١) البقرة ٨٠ .
(٢) فاطر ٦ .





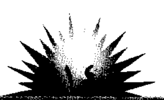
قلنا: إن معجزات موسى إنما كانت في حياته وحده ومن بعد موته لم يبق لها أثر إلا الذكر والخبر فإن انقلاب عصاه ثعبانا لم يتحقق بعد موسى وكذلك اليد البيضاء لم تظهر بعده عليه السلام وكذا سائر المعجزات التسع التي صارت سبباً لنبوته وتصديق دعوته.

وأما محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمعجزاته ظاهرة وبرهانه باهر في حياته وبعد مماته لأن من معجزاته القرآن وهو مؤلف من حروف وألفاظ مبذولة معروفة عند كل أحد بحيث لا يكون أظهر ولا أشهر ولا أكثر استعمالاً من تلك الحروف والألفاظ.

ولا ريب أن كثرة استعمال الشيء تجيده وتحسنه وتظهر دقائقه وخفاياه ولا شيء أكثر استعمالاً وأكثر دوراناً من اللفظ الذي يحتاج إليه كل إنسان في محاوراته وإبداء شؤنه ومستجنات ضميره وهكذا ومع هذ كله فقد أتى صلى الله عليه وآله وسلم بقرآن وكتاب مؤلف من هذه الحروف تأليفاً بحيث لا يمكن لأحد أن يؤلف مثله من أهل هذا النوع و(اللغه العربية) التي هي أشرف اللغات مع وجود الفصحاء والبلغاء والخطباء مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم تحدّاهم وقال ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[1] فإذا أتوا بسورة من مثله فقد بطلت نبوته على قوله فلم يقدروا ولن يقدروا أن يأتوا بمثله ولا بمثل سورة منه وإن كانت صغيره بل ولم يسعهم أن يتكلموا على نهج القرآن إذ لا يشبه شيئا من كلامهم المنثور ولا المنظوم.

وحيث عجزوا عن ذلك وما طاوعتهم أنفسهم للانقياد للحق ولم يسلّموا له بالنبوة ولم يقنعوا بالمعجزة فحاربوه حتى وقعت بهم الذلة .. ذلة الحرب والكسر والفدية والمنة والجزية ونهب الأموال وسبي العيال وكل ذلك كان يندفع بالاتيان بسورة من مثله وإن كانت صغيرة فلو أتى بها آت لاشتهر ولذكر ونقل ولعارضوه بها وجادلوه بها فإن لم يقبل منهم كانوا سموّه ظالماً بطاشاً وعرفت الناس كذبه وأن قصده الغلبة وجعل الدين حجة ألم تسمع بعض مزخرفات مسيلمة الكذاب ومزخرفات سجاح الكذابة لما أرادا مقابلة القرآن فأتوا بعبارات ما أقبحها وأهجنها كقول مسيلمة: (الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل) وقول

(١) البقرة ٢٣.



سجاح (الزارعات زرعاً فالحاصدات حصداً فالطاحنات طحناً فالخابزات خبزاً فالآكلات أكلاً) قال بعض الأدباء كان ينبغي لها أن تتم الآية بقولها والخاريات خرياً لأنها بعد الأكل .. وهذه الكلمات سخافتها ما خفيت بل اشتهرت وجرت على الألسن والأقلام وكتبت في الكتب والطومير والدفاتر فكيف إذا كانت سورة مثل القرآن على نظمه وترتيبه وبلاغته وفصاحته وقد كانوا احتجوا بها على رسول الله ﷺ . ولو فرضنا والعياذ بالله أنه لا ينصف ويأخذهم بالغلبة كانت خرجت العرب ونادت وصدقت بأن هذا مثل القرآن. وإلى الآن ما سمعنا خبراً ولا أثراً من ذلك أبداً ولو فرضنا وسلمنا أنه تغلب وكان أفصح منهم فهل هو أفصح من الله وأبلغ وأقدر منه على إمضاء مشيته وإرادته فهل ترضى نفسك أن تجوز على هذا الخلق العظيم الذي آمنوا بمحمد ﷺ كلهم بأجمعهم ما كانوا طالبين للحق بل اتبعوه لمحض الرئاسة الفانية الزائلة الدنيوية . أو طلبوا الحق من الله ولو قليلاً والله سبحانه ما هداهم إلى الحق ولم يبين لهم كذبه وهو الذي ينسب القرآن إلى الله وينفي قدرة الجن والإنس على أن يأتوا بمثله . قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1] . ومع هذا لم يبين الله -سبحانه- كذبه ولم يفسد أمره ولم يظهر للخلق بطلانه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثم إن هذه المعجزة الباهرة القاهرة بقيت بعده على مر الدهور والسنين ولم يقدر أحد أن يأتي بمثله في هذه المدة المتطاولة مع كثرة الأعوان والناصر وأنت تعلم أن الافرنج كم بذلوا ويبذلون من الدراهم والجاه والاعتبار والقوة والشوكة لإبطال دين الإسلام وكم راموا نقضه بحيل وتدابير فلم يقدروا عليه ولو أمكن لأحد أن يأتي بسورة من مثله لاستعان بأولئك وصدقته باقي العرب لأن الناس عبيد الدنيا ولأظهروا ما أرادوا من إطفاء هذا النور مع أنه ما اتفق إلى الآن والله سبحانه من ورائهم محيط .

فعلمنا أنه قرآن مجيد في لوح محفوظ وأنه من الله ﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2] .

(١) الإسراء ٨٨ .
(٢) فصلت ٤٢ .





فعلمنا بهذه الأدلة القاهرة الباهرة بأنه يجب العدول عن شريعة موسى عليه السلام وإن كانت حقاً من عند الله إلى شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأنه الواسطة بيننا وبين الله وأن شياطين الإنس هم اليهود والنصارى وكل من سلك شريعة غير الإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[1] .

قال: وإذا كأني بشيخ آخر أعظم وأدهى من الشيخ الأول فسألت عنه قيل هو معلم من معلمي النصارى وقد كان أمري معه كما كان مع الحبر سابقاً.

ثم أوصاني بأن لا تجعل بينك وبين الله واسطة غير روح الله عيسى وكل شريعة كانت قبله فهي منسوخة بشريعته والتي ظهرت بعده فهي مفتراة.

ثم كأنه نظر إليّ وإلى أبي نظر المنقبض فكأنه شَمَّ منا رائحة الإسلام وقال: احذر كل الحذر من المسلمين وإياك أن يلووك عن الشريعة المسيحية التي لا زال الحق معها وهي معه . ويكفيك شاهداً على بطلان دعواهم هو انه عندهم بالإجماع وقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى بعث موسى وعيسى وأن الذين دعوا الناس في أول الأمر إلى قبول شريعة عيسى كانوا من أهل الصلاح ومع ذلك توجد في القرآن أخبار عديدة مخالفة لما أتى به موسى وتلاميذ عيسى مع إقرارهم بأنهم كانوا من أهل الصدق ومن جملة تلك الأخبار هو أن الذي حقق وثبت عن تلاميذ عيسى بإجماع منهم كلهم على أنه صلب ومات ، وفي اليوم الثالث قام من بين الأموات وشاهده عدة من الناس وأما المسلمون فيزعمون بخلاف ذلك أنه رفع إلى السماء خفية وأن المصلوب هو الشخص المشبه به ظنوه اليهود أنه هو وأما عيسى فإنه لم يصلب ولم يقتل ولا سبيل لهم إلى فك هذا الاعتراض إلا بأن يقولوا : إن كنت منصفاً فتأمل بأنه لو قال أحد أن القرآن قد تغير هل كان المسلمون يسلمون بذلك مع أنه من غير حجة يستدل بها على صحة كتابهم بما يعادل دلالاتنا على صحة كتابنا من حيث انتشار عدة نسخ مبذولة متداولة بجميع الآفاق لا كحال كتابهم بلسان واحد بل كتابنا بلغات متعددة لأنها محفوظة عند الفرق المختلفة .

(١) آل عمران ٨٥ .



في إبطال قول النصارى وكيفية إغوائهم

أقول : وهذا الشيخ الآخر هو الشيطان المقيض الذي في الأذن اليسرى من القلب في البطن الثالث كما كان الحبر اليهودي شيطان قد تمثل بصورته مقره البطن الثاني من الأذن اليسرى من القلب وأبوه على صورة آدمي على البطن الأول غير متعمق لا في العلوم الإلهية ولا في التسويلات الشيطانية وإنما كان هذا الثالث نصرانياً منسوباً إلى روح الله عيسى صورة وحاشا أن يكون منسوباً إليه حقيقة لأن الأذن اليسرى من القلب لها ثلاث بطون البطن الأول مقر الحرارة الغريزية المتخذة من نار السموم في مقابلة الروح الحيواني الحرارة الغريزية التي في الجانب الأيمن من القلب البطن الثاني مقر النفس الأمارة بالسوء مقابل النفس المطمئنة من الجانب الأيمن والبطن الثالث مبدأ الجهل البرزخ بين الجهل المركب والجهل البسيط المقابل للروح البرزخ بين العقل والنفس فوجهه الأعلى العقل ووجهه الأسفل النفس ، ولما كان الضد إنما يسمى باسم ضده كالأعمى يسمى بصيراً والمفوضة تسمى قدرية وهذا الشيخ الآخر لما كان يمده الشيطان من هذا البطن من الجانب الأيسر وهو الشيطان المقيض المستقر هناك نسب إلى روح الله عيسى لأن عيسى عليه السلام كان مظهر أطوار ذلك البطن فالنسبة متضادة ، وهذا المسؤل فعل ما فعله الحبر اليهودي من إظهار الصفة الكمالية لله -سبحانه- كما يشير إليه قوله : (لقد كان أمري معه كما كان مع الحبر سابقاً) وهوكاذب في دعواه لأن منهم من يرى أن الله ثالث ثلاثة ويرى أن الله حقيقة واحدة قد تعينت بصورة عيسى عليه السلام ومريم وروح القدس ، ومنهم من يرى أنه هو الله ، ومنهم من يرى أن عزيرا ابن الله . ومع هذه العقائد الباطلة والمذاهب السخيفة التي لا يرضى بها من له أدنى مسكة وروية كيف يكون موحداً فإن على الأول يلزم أن يكون الله مقترناً ومحدوداً بالحدود وعلى الثاني يلزم أن لا يكون الله صمداً حتى خرج منه الولد ، والانشقاق انفعال وتغيير بين حالته قبل الولد وبين حالته بعد الولد ، ويلزم أن ينقسم إلى الأجزاء لأن الولد جزء والده وأمثالها من القبائح . وعلى الثالث يلزم أن يكون الله الغني بالذات متصفاً بصفة الفقير بالذات وبطلانه ضروري والملازمة بديهية والرابع كالثالث .



وبالجملة من يكون هذا اعتقاده بالله كيف يصفه بالصفات الكمالية وينزهه عن صفات النقص ، وأي كمال في رب هو جزء مرة وكل مرة ومتغير الحالات وليس لله صفة الفقير المحتاج الذليل الأسير . نعم إنما ذكر هذا الشيخ المضل تمويهاً وتسويلاً كالحبر الأول كما ذكرنا سابقاً فراجع .

وأما وصيته بأن لا تجعل بينك وبين الله واسطة غير روح الله عيسى إلى قوله ... فهي مفتراة ، فباطلة مجتثة زائلة بعين ما ذكرنا في جواب الحبر اليهودي . ووجوب العدول عن شريعة موسى إلى شريعة محمد ﷺ بعد نسخ شريعة عيسى حرفاً بحرف فراجعه تجده وافياً بالمراد وتعلم بذلك أن دعواه من أن الشريعة التي ظهرت بعد عيسى فهي مفتراة .

وأما استدلاله بأن عند المسلمين بإجماعهم وبقول محمد ﷺ أن الله تعالى بعث موسى وعيسى وأن الذين دعوا الناس في أول الأمر إلى قبول شريعة عيسى كانوا من أهل الصلاح .

فنقول : أما قوله أن الله بعث موسى وعيسى فلا شك فيه ولا ريب يعتريه وأما الذين دعوا الناس في أول الأمر إلى قبول شريعة عيسى كانوا من أهل الصلاح فلا نسلّم بالكلية بل فيهم من أهل الصلاح وهم الذين دعاهم إلى قبول شريعة عيسى محض دينهم ومتابعة ربهم وحذرهم من النار وشوقهم إلى الجنة دار القرار وهم الذين دعوا إلى شريعة محمد ﷺ فمنهم من دعته إلى الإقرار بعيسى أهواء أنفسهم وشهوة إنياتهم لما سمعوا من بعض الكهنة والجان الذين يسترقون السمع أن شريعة عيسى تظهر وتتقوى فدخلوا في هذه الشريعة للطمع وحب الجاه والرئاسة كما كان شأن منافقي كل ملة وكل شريعة ولا كل من اتبع شريعة اتبعها لوجه الله (لقد افترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة منهم) وذلك معلوم واضح .

وأما قوله:توجد في القرآن أخبار عدة مخالفة لما أتى به موسى وتلاميذ عيسى مع إقرارهم بأنهم قد كانوا من أهل الصدق.

فجوابه: أنه لو كان في القرآن ما يخالف أخبارموسى وتلاميذ عيسى فهلا



تمسك به اليهود والنصارى لما سمعوا بالقرآن وهذه الأخبار المخالفة وانما فيه كذب مخالف للواقع وفيه مواضع عدة اللعنة على الكاذبين وفيه أن هذا القرآن لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه فهلا احتجوا به على محمد ﷺ وخاصموه على قوله وأبطلوا بذلك نبوته وسلموا وخلصوا من العار والشنار وذل الأسر والنهب والجزية والفدية والمنة والذل والصغار ؟

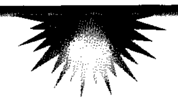
أما احتج بذلك نصارى نجران لما أتوا إلى النبي ﷺ للاحتجاج والمخاصمة إلى أن آل أمرهم إلى المباهلة فلم يتمكنوا منها لما رأوا من عظمة الله الظاهرة في محمد ﷺ بحيث لو باهلوه لأهلك الله كل نصراني في الوجود التجأوا إلى الجزية بأن يعطوا عن يد وهم صاغرون أين النخوة العربية وأين شيمتهم وأين الكبر الذي في صدورهم يجدون لهم الغلبة بلا تعب ولا زحمة ولا مشقة ثم يرتكبون هذا العار والذلة والصغار ولا يكون ذلك أبداً .. فلو كان لما ذكره هذا الشيخ أثر من صحة لكان أولئك أولى بالاحتجاج به لأنهم قريبي العهد والإسلام بعد لم يتمكن والطبائع مجبولة بأن الخصم إذا وجد عنده شيء مخالف بحيث يتمكن به الغلبة على الخصم يتمسك به البتة فإذا لم يتمسك به ولم يحتج عليه علمنا أن هذا الذي قال هذا الشيخ لا أثر له عندهم ولا خبر وإنما هو قول باطل وكلام مجتث زائل لا يصغى إليه ولا يعول عليه.

فحينئذ قولهم أن عيسى صلب ومات وفي اليوم الثالث قام من بين الأموات وشاهده عدة من الناس باطل.

ثم نقول وما يدريهم أنه صلب ومات وأن هذا الذي صلب لم يكن شبه عيسى ولعل الأمر كما قال محمد ﷺ أن ألقي على الخشب شبه عيسى وهو أحد الحواريين وعيسى رفع إلى السماء . وما دليلهم عليه؟

وأما قولهم وفي اليوم الثالث قام من بين الأموات لعله ذلك الشبيه وأي منافاة بين ما قالوا لو افترضنا أنهم من أهل الصدق وبين ما في القرآن لأن المطلوب هو شبيه عيسى يقيناً وهؤلاء ما فطنوا إلى ذلك وتوهموا أنه هو إلا بعض الخواص المختصين بعيسى الذين أخبرهم بحقيقة الأمر وهم اثنا عشر نفساً ولا نسلم أنهم وافقوا القوم على أن عيسى هو المصلوب والمقتول دون إثباته خرط القتاد .





فظهرلك وثبت ووضح وتحقق أنما ذكر في القرآن ليس منافياً لما شاهدوا فإنهم شاهدوا الصورة والقرآن أخبر عن الواقع ولا منافاة نعم لو كان عندهم دليل على امتناع هذا عقلاً جاءت المخالفة وصح ما قالوا وإذ ليس فليس . بل القرآن شرح حقيقة الأمر وذكر أنه شبه لهم ومعنى ذلك أن القوم أي اليهود والنصارى تيقنوا بأن عيسى هو المصلوب مع أن الواقع بخلافه فكل منهم تكلم على ما رأى واعتقد فلا مخالفة ولامنافاة .

وبعد هذا الكلام تجد ما ذكره الشيخ تطويل بلا طائل ولو كان فيه طائل لاحتج به أولئك الذين أقدم منه وأخصم وجرى عليهم ما جرى عليهم من الذل والصغار ويحتاجون ويرددون لأضعف حجة ضعيفة يحتجون بها فكيف إذا ما وجدوا حجة قوية ودلالة صريحة على بطلان دعوى خصمهم .

فإن قلت : لعلهم لم يسمعوا ولم يحصل لهم خبر وعلم بالآيات التي تدل على ذلك .

قلت : إن محمداً ﷺ وإن لم يتفقوا على نبوته ولكنه اتفق جميع الأمم المختلفة المتباينة الآراء بأنه ﷺ حكيم ذو عقل سديد ورأى صواب وإنما أظهر هذا الدين بتدبير منه ورأي وحكمة وأي عاقل حكيم يظهر الكذب ثم يلعن الكاذب في كتاب أراد انتشاره ووصوله إلى كل عدو وصديق .

ولو فرضنا أنه لم يرد فإنه لا محالة يصل إليهم فاذا وصل إليهم تبطل نبوته فكيف يهجم العاقل على ما يفسد به ويقطع به حجته ويظهر عليه خصمه إلا أن يكون سفيهاً أو ضعيفاً أو مجنوناً . والسفيه أو المجنون لا يمكن أن يأتي بكلام وكتاب عجز أغلب الخلق على زعم الفرق وكل الخلق على زعم أهل الاسلام .

والذين آمنوا من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ قد اطلعوا على القرآن فلو كان ما فيه مخالفاً للتوراة وغيرها من الكتب السماوية لأنكروا وإن خافوا من إنكاره علانية أنكروا سراً وقد كان يصل إلينا إنكارهم .

وهذا عبد الله بن سلام من أفضل علماء اليهود وقد استخرج من التوراة ألف مسألة وسأل عنها النبي ﷺ وأجاب وقرأ عليه القرآن وصدقه[1] فلو وجد مخالفاً

(١) بحارالأنوار ج : ٧٥ ص : ٢٤٢ عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما بعث النبي ص أمر عليا أن يكتب كتابا إلى الكفار و إلى النصارى و إلى اليهود فكتب كتابا





أملاه جبرئيل على النبي ص فكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم من محمد رسول الله إلى يهود خيبر أما بعد ف إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ... وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَ السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدى و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم ختم الكتاب و أرسله إلى يهود خيبر فلما وصل الكتاب إليهم أتوا إلى شيخهم ابن سلام فقالوا يا ابن سلام هذا كتاب
محمد إليك فاقرأه علينا فقرأه عليهم فقال لهم ما تريدون من هذا الكلام و قد أرى فيه علامات وجدنا في التوراة أن هذا الذي بشرنا به موسى بن عمران فقالوا ينسخ
كتابنا و يحرم علينا ما أحل لنا من قبل فقال لهم ابن سلام يا قوم اخترتم الدنيا على الآخرة و العذاب على المغفرة فقالوا يا ابن سلام لو كان محمد على ديننا لكان أحب
إلينا من غيره فقال أنا أروح إليه و أسأله عن أشياء من التوراة فإن أجابني عنها دخلت في دينه و خليت دين اليهودية و قام و أخذ التوراة و استخرج منها ألف مسألة و
أربعمائة مسألة و أربع مسائل من غامض المسائل فأخذها و أتى بها إلى محمد و هو في مسجده فقال السلام عليك يا محمد و على أصحابك فقالوا و عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى
السلام و رحمة الله و بركاته من أنت يا هذا الرجل قال أنا عبد الله بن سلام و أنا من رسل بني إسرائيل و ممن قرأ التوراة و أنا رسول اليهود إليك مع شيء لتبينه لنا ما
هو و أنت من المحسنين فقال النبي ص اجلس يا ابن سلام و سل عما شئت و إن شئت أخبرتك عما تسألني عنه فقال أخبرني يا محمد فإنني أزداد فيك يقينا فقال يا ابن
سلام جئت تسألني عن ألف مسألة و أربعمائة مسألة و أربع مسائل نسختها من التوراة فنكس عبد الله بن سلام رأسه و بكى و قال صدقت يا محمد فقال أ نبي أنت
أم رسول فقال يا ابن سلام إن الله بعثني نبيا و رسولا و أنا خاتم النبيين أ فما قرأت في التوراة مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً
سُجَّداً الآية و أنزل علي ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ قال صدقت يا محمد أخبرني أ كليم أنت أم وحي قال يا ابن سلام بل وحي
يأتيني به جبرائيل عن رب العالمين قال صدقت يا محمد أخبرني كم خلق الله نبيا من بني آدم قال يا ابن سلام خلق الله مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي قال
صدقت يا محمد أخبرني كم المرسلون منهم قال يا ابن سلام كان المرسلون ثلاثمائة و ثلاثة عشر قال صدقت يا محمد فأخبرني من كان أول الأنبياء قال آدم قال صدقت
يا محمد أخبرني آدم كان نبيا مرسلا قال نعم أ فما قرأت في التوراة قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ الآية قال صدقت يا محمد فأخبرني عن رسل العرب كم كانوا قال ستة
أولهم إبراهيم و إسماعيل و لوط و صالح و شعيب و محمد قال صدقت يا محمد فأخبرني كم كان بين موسى و عيسى من نبي قال ألف قال صدقت يا محمد فعلى أي
دين كانوا قال على دين الله تعالى و دين ملائكته و دين الإسلام قال و ما الإسلام و ما الإيمان قال أما الإسلام فتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و الإقرار بأن
محمدا عبده و رسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم شهر رمضان و الحج إلى بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلا و أما الإيمان فتؤمن بالله و ملائكته و الكتاب و
النبيين و البعث بعد الموت و القدر خيره و شره من الله تعالى قال صدقت يا محمد أخبرني كم من دين الله تعالى قال دين واحد و هو الإسلام قال صدقت يا محمد فبم
كانت الشرائع قال كانت مختلفة في الأمم الماضية قال صدقت يا محمد فأهل الجنة يدخلون بالإسلام أم بالإيمان أم بأعمالهم قال يا ابن سلام استوجبوا الجنة بالإيمان و
يدخلون برحمة الله و يقسمونها بأعمالهم قال صدقت يا محمد فأخبرني كم أنزل الله كتابا قال يا ابن سلام أنزل الله مائة كتاب و أربعة كتب قال صدقت يا محمد فأخبرني
على من أنزلت هذه الكتب قال يا ابن سلام أنزل الله عز و جل على آدم أربع عشرة صحيفة و أنزل على إبراهيم عشرين صحيفة و في قول أربع عشرة صحيفة و على
شيث بن آدم خمسين صحيفة و أنزل على إدريس ثلاثين صحيفة و أنزل الزبور على داود و أنزل التوراة على موسى و أنزل الإنجيل على عيسى و أنزل علي الفرقان قال
صدقت يا محمد فهل أنزل عليك كتابا قال نعم قال و أي كتاب هو قال الفرقان قال يا محمد لم سماه الرب فرقانا قال يا ابن سلام لأنه يفرق الآيات و السور و أنزل بغير
الألواح و غير الصحف و التوراة و الإنجيل و الزبور كلها جملة في الألواح قال صدقت يا محمد فهل في كتابك شيء من هذه الصحف قال نعم يا ابن سلام قال ما هو
يا محمد فقرأ النبي ص قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى إلى قوله صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى قال صدقت يا محمد فأخبرني ما ابتداء القرآن و ما ختمه قال يا ابن سلام ابتداؤه بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و ختمه صدق الله العلي العظيم قال صدقت يا محمد فأخبرني عن خمسة أشياء خلقها الله بيده ما هي قال يا ابن سلام إن الله عز و جل خلق جنة عدن
بيده و غرس شجرة طوبى بيده و صور آدم بيده و كتب التوراة بيده و بنى السماوات بيده قال صدقت يا محمد وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ قال صدقت قال يا ابن
سلام أ ما سمعت قوله تعالى وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ قال صدقت يا محمد أخبرني من أخبرك بهذا قال أخبرني جبرائيل قال عن من قال عن ميكائيل قال عن
من قال عن إسرافيل قال عن من قال عن اللوح المحفوظ قال عن من قال عن القلم قال عن من قال عن رب العالمين قال و كيف ذلك يا محمد قال النبي ص يأمر الله
القلم يكتب في اللوح و ينزل في اللوح على إسرافيل و يبلغ إسرافيل ميكائيل و يبلغ ميكائيل جبرائيل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن جبرائيل في زي الذكران أم في
زي الإناث قال يا ابن سلام بل هو في زي الذكران قال فأخبرني ما طعامه و ما شرابه قال يا ابن سلام طعامه التسبيح و شرابه التهليل قال صدقت يا محمد فأخبرني ما
طوله و ما عرضه و ما صفته و ما لباسه قال يا ابن سلام على قدر الملائكة لا بالطويل الأعلى و لا بالقصير الأدنى أغر مكحول ضوؤه كضوء النهار عند ظلمة الليل له
أربعة و عشرون جناحا خضراء مكللة بالدر و الياقوت مختومة باللؤلؤ عليه و شاح بطانته من إستبرق و ظهارته الوقار و الكرامة وجهه كالزعفران أقنى الأنف مدور
الحدق لا يأكل و لا يشرب و لا يمل و لا يسهو و هو قائم بوحي الله تعالى إلى يوم القيامة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن بدء خلق الدنيا و أخبرني عن بدء خلق آدم
كيف خلقه الله تعالى قال نعم يا ابن سلام إن الله سبحانه و تعالى تقدست أسماؤه و لا إله غيره خلقه من طين بيده و خلق الطين من الزبد و خلق الزبد من الموج و خلق
الموج من الماء قال صدقت يا محمد فأخبرني عن آدم لم سمي آدم قال يا ابن سلام لأنه خلق من طين الأرض و أديمها قال صدقت يا محمد فآدم خلق من الطين كله أو
بعضه أو من طين واحد قال يا ابن سلام بل خلقه الله من الطين كله و لو أن آدم خلق من طين واحد لما عرف بعضهم بعضا و كانوا على صورة واحدة قال صدقت يا
محمد هل لهم مثل بذلك في الدنيا قال نعم يا ابن سلام بحارالأنوار ج : ٧٥ ص : ٥٤٢ أ فما تنظر إلى التراب منه أبيض و منه أسود و منه أحمر و منه أصفر و منه أشقر
و منه أغبر و منه أزرق و فيه عذب و خشن و فيه لين و كذلك بنو آدم فيهم خشن و فيهم لين و فيهم عذب كذلك التراب قال صدقت يا محمد فأخبرني من آدم لما
خلقه الله عز و جل من أين دخلت الروح فيه قال يا ابن سلام دخلت من فيه قال صدقت يا محمد أ دخلت فيه على رضا أم على كره قال يا ابن سلام أدخله الله كرها و
يخرجها كرها قال صدقت يا محمد ما قال الله لآدم قال يا ابن سلام قال الله لآدم يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ
فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ قال صدقت يا محمد فكم أكل منها حبة قال حبتين قال و كم أكلت حواء قال حبتين قال صدقت يا محمد فأخبرني ما صفة الشجرة و كم لها غصن
و كم كان طول السنبلة قال يا ابن سلام كان لها ثلاثة أغصان و كان طول كل سنبلة ثلاثة أشبار قال صدقت يا محمد فكم سنبلة فرك منها آدم قال سنبلة واحدة قال
صدقت يا محمد فكم كان في السنبلة من حبة قال كان فيها خمس حبات قال فأخبرني ما صفة الحبة قال يا ابن سلام كانت بمنزلة البيض الكبار قال فأخبرني عن الحبة
التي بقيت مع آدم ما صنع بها قال يا ابن سلام أنزلت مع آدم من الجنة فزرع آدم تلك الحبة فتناسل من تلك الحبة البركة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن آدم أين أهبط
من الأرض قال أهبط بالهند قال صدقت يا محمد فأين أهبطت حواء قال بجدة قال صدقت يا محمد فأين أهبطت الحبة قال بأصبهان قال صدقت يا محمد فأين أهبط
إبليس قال ببيسان قال صدقت يا محمد قال ما أغزر علمك و ما أصدق لسانك فأخبرني ما كان لباس آدم لما أهبط من الجنة قال ثلاث أوراق من ورق الجنة متوشحا
بالواحدة متزرا بالأخرى متعمما بالثالثة قال صدقت يا محمد فأخبرني في أي مكان اجتمعا قال بعرفات قال صدقت يا محمد فأخبرني خلقت حواء من آدم أم آدم من
حواء قال يا ابن سلام خلقت حواء من آدم و لو أن خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء و لم يكن بيد الرجال قال فأخبرني خلقت من كله أو من بعضه قال خلقت





من بعضه و لو خلقت من كله لكان القضاء في النساء و لم يكن في الرجال قال صدقت يا محمد فأخبرني عن باطنه خلقت أم من ظاهره قال يا ابن سلام بل خلقت من باطنه و لو خلقت من ظاهره لكشفت النساء من أبدانهن كما تكشف الرجال قال فمن يمينه خلقت أم من شماله قال بل خلقت من شماله و لو خلقت من يمينه لكان حظ الأنثى مثل حظ الذكر و شهادتها كشهادته و من أجل ذلك جعل الله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ قال فأخبرني من أي موضع خلقت قال يا ابن سلام خلقت من ضلعه الأقصر قال صدقت يا محمد فأخبرني من كان يسكن الأرض قبل آدم قال الجن قال فبعد الجن قال الملائكة قال فبعد الملائكة قال آدم و ذريته قال و كم كان بين الجن و بين آدم قال سبعة آلاف سنة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن آدم فهل حج إلى بيت الله الحرام قال نعم قال فمن حلق رأس آدم قال جبرئيل قال صدقت يا محمد فأخبرني هل اختتن آدم أم لا قال نعم يا ابن سلام ختن نفسه بيده قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الدنيا لم سميت دنيا قال يا ابن سلام لأن الدنيا خلقت من دون الآخرة و لو خلقت مع الآخرة لم تفن كما لم تفن الآخرة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن القيامة لم سميت قيامة قال يا ابن سلام لأن مقام الخلائق فيها للحساب قال فأخبرني لم سميت الآخرة آخرة قال لأنها متأخرة عنها بعد الدنيا لا يوصف سنوها و لا تحصى أيامها و لا يموت ساكنها قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أول يوم خلق الله تعالى الدنيا فيه قال يوم الأحد قال و لم سماه أحدا قال لأن الله واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة و لا ولدا قال صدقت يا محمد فالإثنين لم بحارالأنوار ج : ٧٥ ص : ٢٤٧سمي إثنين قال لأنه ثاني يوم الدنيا قال فالثلاثاء لم سمي ثلاثاء قال لأنه ثالث يوم الدنيا قال فالأربعاء لم سمي أربعاء قال لأنه رابع يوم الدنيا قال فالخميس لم سمي خميسا قال لأنه خامس يوم الدنيا قال فالجمعة لم سمي جمعة قال لأنه يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ و هو سادس يوم من أيام الدنيا قال فالسبت لم سمي سبتا قال يا ابن سلام لأنه يوم يوكل فيه ملك لأنه مع كل عبد ملكان ملك عن يمينه و ملك عن شماله فالذي عن يمينه يكتب الحسنات و الذي عن شماله يكتب السيئات قال صدقت يا محمد فأخبرني عن مقعد الملكين من العبد و ما قلمهما و ما دواتهما و ما لوحهما و ما مدادهما قال يا ابن سلام مقعدهما على كتفيه و قلمهما لسانه و دواتهما فوه و مدادهما ريقه و لوحهما فؤاده يكتبان أعماله إلى مماته قال صدقت يا محمد فأخبرني ما خلق الله في ذلك اليوم قال ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ قال فأخبرني كم طول القلم و كم عرضه و كم أسنانه قال يا ابن سلام طول القلم خمسمائة عام و له ثلاثون سنا يخرج المداد من بين أسنانه و يجري في اللوح المحفوظ ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عز و جل قال صدقت يا محمد كم لحظة لله عز و جل في كل يوم و ليلة قال يا ابن سلام ثلاثمائة و ستون لحظة يمضي و يقضي و يرفع و يضع و يسعد و يشقي و يعز و يذل و يعلي و يقهر و يغني و يفقر قال صدقت يا محمد فأخبرني ما خلق الله تعالى بعد ذلك قال يا ابن سلام السماء السابعة مما يلي العرش و أمرها أن ترتفع إلى مكانها فارتفعت ثم خلق الستة الباقية و أمر كل سماء أن تستقر مكانها فاستقرت قال صدقت يا محمد فلم سماها سماء قال لارتفاعها قال فأخبرني ما بال سماء الدنيا خضراء قال يا ابن سلام اخضرت من جبل قاف قال صدقت يا محمد فأخبرني مم خلقت قال خلقت من موج مكفوف قال و ما الموج المكفوف قال يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب له و كانت الأصل دخانا قال صدقت يا محمد فأخبرني عن السماوات أ لها أبواب قال نعم لها أبواب و هي مغلقة و لها مفاتيح و هي مخزونة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أبواب السماء ما هي قال ذهب قال فما أقفالها قال من نور قال فمفاتيحها قال بسم الله العظيم قال صدقت يا محمد فأخبرني عن طول كل سماء و عرضها و كم ارتفاعها و ما سكانها قال يا ابن سلام طول كل سماء خمسمائة عام و عرضها كذلك و بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام و سكان كل سماء جند من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى قال صدقت يا محمد فأخبرني عن السماء الثانية مما خلقت قال من الغمام قال صدقت يا محمد فأخبرني عن السماء الثالثة مم خلقت قال من زبرجدة خضراء قال فالرابعة قال من ذهب أحمر قال صدقت يا محمد فالخامسة قال من ياقوتة حمراء قال فالسادسة قال من فضة بيضاء قال فالسابعة قال من ذهب قال صدقت يا محمد فأخبرني ما فوق السماء السابعة قال بحر الحيوان قال فما فوقه قال بحر الظلمة قال فما فوقه قال بحر النور قال فما فوقه قال الحجب قال فما فوقه قال سدرة المنتهى قال فما فوق سدرة المنتهى قال جنة المأوى قال فما فوق جنة المأوى قال حجاب المجد قال فما فوق حجاب المجد قال حجاب الحمد قال فما فوق حجاب الحمد قال حجاب الجبروت قال فما فوق حجاب الجبروت قال حجاب العز قال فما فوق حجاب العز قال حجاب العظمة قال فما فوق حجاب العظمة قال حجاب الكبرياء قال فما فوق حجاب الكبرياء قال الكرسي قال صدقت يا محمد قال قد أوتيت علوم الأولين و الآخرين و إنك لتنطق بالحق اليقين قال فما فوق الكرسي قال العرش قال فما فوق العرش قال الله تعالى و هو فوق الفوق و علمه تحت التحت قال صدقت يا محمد قال فأخبرني هل يستوي مخلوق على عرشه قال معاذ الله يا ابن سلام قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الشمس و القمر أ هما مؤمنان أم كافران قال يا ابن سلام بل هما مؤمنان طائعان لله عز و جل مسخران تحت قهر المشية قال صدقت يا محمد قال فأخبرني ما بال الشمس و القمر لا يستويان في الضوء و النور قال يا ابن سلام إن الله محا آية الليل و جعل آية النهار مبصرة نعمة من الله و فضلا و لو لا ذلك ما عرف الليل من النهار و لا النهار من الليل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الليل لم سمي ليلا قال لأنه يلايل الرجال من النساء جعله الله ألفا و لباسا قال صدقت يا محمد فأخبرني لم سمي النهار نهارا قال يا ابن سلام لأن فيه كل من الخلق يطلب معاشه قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن النجوم كم جزءا هي قال يا ابن سلام ثلاثة أجزاء جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها إلى السماء السابعة و الجزء الثاني بسماء الدنيا كأمثال القناديل المعلقة و هي تضيء لسكانها و ترمي الشياطين بشررها إذا استرقوا السمع و الجزء الثالث معلقة في الهواء و هي ضوء البحار و ما فيها و ما عليها قال صدقت يا محمد فأخبرني ما بال النجوم تبان صغارا و كبارا قال يا ابن سلام لأن بينها و بين سماء الدنيا بحارا تضرب الرياح أمواجها فتبان من تحتها صغارا أو كبارا و مقدار النجوم كلها مقدار واحد قال صدقت يا محمد فأخبرني كم ريحا بيننا و بين سماء الدنيا قال ثلاثة أرياح الريح العقيم التي أرسلت على قوم عاد حملت الأشجار و الثمار و الريح التي هي سوداء مظلمة يعذب بها أهل النار و ريح تحمل البحار و ريح لأهل الأرض بها حملت الأشجار و الثمار تغدو في جوانبها و لو لا تلك الريح لاحترقت الأرض و الجبال من حر الشمس قال صدقت يا محمد فأخبرني عن حملة العرش كم هم صنفا قال ثمانون صنفا طول كل صنف ألف ألف فرسخ و عرضه خمسمائة عام و رءوسهم تحت العرش و أقدامهم تحت سبع أرضين و لو أن طائرا يطير من أذن أحدهم اليمنى إلى اليسرى ألف سنة من سنين الدنيا لم يبلغ إلى الأذن الآخر حتى يموت هرما أي شيخا لهم ثياب من در و ياقوت شعرهم كالزعفران طعامهم التسبيح و شرابهم التهليل و الصنف الأول نصفه ثلج و نصفه نار لا يذيب النار الثلج و لا الثلج يطفئ النار و الصنف الثاني نصفه رعد و نصفه برق و الصنف الثالث نصفه ماء و نصفه مدر لا الماء يذيب المدر و لا المدر يذيب الماء و الصنف الرابع نصفه ريح و نصفه ماء لا الريح يهيج الماء و لا الماء يسبق الريح قال صدقت يا محمد فأخبرني عن طائر يطير بين السماء و الأرض ليس له في السماء مكان و لا في الأرض مسكن ما هم يا محمد قال يا ابن سلام تلك حيات بحارالأنوار ج : ٧٥ ص : ٢٥٠أعرافها كأعراف الخيل تبيض في الجو على أذنابها و تفرخ على مناكبها في الهواء إلى يوم القيامة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن مولود أشد من أبيه قال يا ابن سلام ذلك الحديد يولد من الحجر و هو أشد من الحجر قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن بقعة أصابتها الشمس مرة واحدة فلا تعود إليها إلى يوم القيامة قال يا ابن سلام ذلك موضع أغرق الله فيه فرعون حين انفلق البحر و انطبق عليه قال صدقت يا محمد فأخبرني عن بيت له اثنا عشر بابا أخرج منه اثنا عشر عينا لاثني عشر سبطا قال النبي ص لما جاوز موسى بني إسرائيل البحر و دخل بهم إلى البرية فشكوا إلى موسى العطش فمر بحجر مربع فأوحى الله إليه أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فضرب به موسى فانفجر مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً لاثني عشر سبطا من بني إسرائيل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن نبي لا من الجن و الإنس و لا من الطير و لا من الوحش قال يا ابن سلام ذلك النملة التي أنذرت قومها حين قالت يا أَيُّهَا النَّمْلُ ..



ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ قال صدقت يا محمد فأخبرني عن من أوحى الله إليه لا من الجن و لا من الملائكة و لا من الإنس و لا من الوحش ما هو قال يا ابن سلام النحل أوحى الله إليها أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ قال صدقت يا محمد قال فأخبرني ما أوحى الله إليه من الأرض ما هو قال يا ابن سلام أوحى الله إلى جبل طور سيناء أن ارفع موسى إلى السماء حتى يتناول الألواح من رب العالمين قال صدقت يا محمد فأخبرني عن مخلوق أوله عود و آخره روح قال يا ابن سلام تلك عصا موسى بن عمران أمره الله أن يلقيها في بيت المقدس فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى قال صدقت يا محمد فأخبرني عن ثلاث ذكور لم يولدوا عن فحل قال يا ابن سلام ذلك عيسى ابن مريم و آدم و كبش إسماعيل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن وسط الدنيا في أي موضع هو قال بيت المقدس قال و كيف ذلك قال لأن فيه المحشر و المنشر و الصراط و الميزان قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ما هو قال يا ابن سلام السفن المبنية في البحر أ ما قرأت في التوراة وَ حَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ قال صدقت يا محمد قال ما الألواح قال الأشجار التي سفقت طولا هي الألواح فأخبرني عن الدسر قال يا ابن سلام المسامير و العوارض من الحديد قال صدقت يا محمد قال فأخبرني كم كان طول السفينة و كم عرضها و كم كان ارتفاعها قال يا ابن سلام كان طولها ثلاثمائة ذراع و عرضها مائة و خمسين ذراعا و ارتفاعها مائتي ذراع قال صدقت يا محمد قال فأخبرني من أين ركبها نوح قال من العراق قال أين ثبت قال طافت بالبيت العتيق أسبوعا و ببيت المقدس أسبوعا وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن البيت المعمور أين كان لما أغرق الله الدنيا قال يا ابن سلام رفعه الله تعالى إلى السماء السابعة قبل الطوفان قال صدقت يا محمد قال فأخبرني أين كانت الصخرة وقت الطوفان قال و أمر الله تعالى أبا قبيس أن يحمل الصخرة في بطنه قال فالبيت المقدس لما أغرق الله الدنيا أين كان قال في جبل أبي قبيس قال صدقت يا محمد فأخبرني عن مولود لم يشبه أباه و ربما أشبه خاله و ربما أشبه عمه قال يا ابن سلام إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة المرأة على شهوة الرجل خرج الولد إلى خاله و إن غلبت شهوة الرجل على شهوة المرأة خرج إلى عمه و إن استويا خرج الولد إلى أمه و أبيه قال صدقت يا محمد

أقول : في الرواية الأخرى هكذا قال فأخبرني عن المولود إذا لم يشبه أباه و ربما يشبه خاله و عمه قال إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة الرجل شهوة المرأة خرج الرجل بأبيه أشبه و إن غلبت شهوة المرأة خرج الولد بأمه أشبه و إن استويا خرج شبيها بهما فإن سبقت شهوة الرجل خرج الولد بعمه أشبه و إن سبقت شهوة المرأة كان الولد بخاله أشبه قال صدقت

رجعنا إلى الرواية الأولى قال فأخبرني هل يعذب الله عبده بلا حجة قال معاذ الله يا ابن سلام إن الله تبارك و تعالى عدل لا يجور في قضائه قال صدقت قال فأخبرني عن أطفال المشركين في الجنة أم في النار قال يا ابن سلام الله أولى بهم و لكن إذا كان يوم القيامة و جمع الخلق لفصل القضاء أمر الله تعالى بأطفال المشركين فيؤتى بهم فيقول لهم عبادي و أبناء عبادي و إمائي من ربكم و ما دينكم و ما أعمالكم فيقولون اللهم أنت ربنا و أنت خالقنا و لم نكن شيئا و أمتنا و لم تجعل لنا لسانا ننطق به و لا عقلا نعقل به و لا قوة في الأعضاء نتعبد بها و لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا فيقول الله لهم و هو أجل قائل فالآن لكم ألسنة و عقول و قوة للحركة في الأعضاء فإن أمرتكم بأمر يا عبادي تفعلوه فيقولون السمع و الطاعة لك يا إلهنا و خالقنا و رازقنا و مالكنا فيأمر الله تعالى مالكا فتزجر جهنم حتى تفور و يأمر أطفال المشركين ألقوا أنفسكم في تلك النار فمن سبق له في علم الله أن يكون سعيدا ألقى نفسه فيها فتكون النار عليه بردا و سلاما كما كانت على إبراهيم خليل الرحمن و من سبق له في علم الله أن يكون شقيا امتنع أن يلقي نفسه في تلك النار فيكونون تبعا لآبائهم و أمهاتهم في النار و الفرقة الأخرى يخرجون إلى الجنة مع المؤمنين قال صدقت قال بررت و بينت و أزلت الشك يا محمد فزدني يقينا فأخبرني عن الأرض لم سميت أرضا قال لأنها أرض يداس عليها قال فمم خلقت قال من زبرجد قال فالزبرجدة مم خلقت قال من الموج تال فالموج مم خلق قال من البحر قال صدقت يا محمد فكيف ذلك قال إن الله عز و جل لما خلق البحر أمر الريح أن تضرب الأمواج بعضها في بعض فاضطرب الأمواج حتى ظهر الزبد ثم أمرها أن تجتمع فاجتمعت ثم أمرها أن تلين فلانت ثم أمرها أن تعتدل فاعتدلت ثم أمرها أن تمتد فامتدت فصارت أرضا قال صدقت يا محمد فأخبرني من أين سكونها قال من جبل قاف و هو أصل أوتاد الأرض التي نحن عليها قال فأخبرني ما تحت هذه الأرض قال تحتها ثور قال و ما صفته قال يا ابن سلام له أربع قوائم و هو قائم على صخرة بيضاء قال فأخبرني ما صفته قال يا ابن سلام له أربعون قرنا و أربعون سنا رأسه بالمشرق و ذنبه بالمغرب و هو ساجد لله تعالى إلى يوم القيامة من القرن إلى القرن مسيرة خمسين ألف سنة قال صدقت يا محمد فأخبرني ما تحت الصخرة قال تحتها جبل يقال له الصعود قال و لمن ذلك الجبل قال لأهل النار يصعده المشركون إلى يوم القيامة و هو مسيرة ألف سنة حتى إذا بلغوا أعلى ذلك الجبل ضربوا بمقامع فيسقطون إلى أسفله فيسحبون على وجوههم قال صدقت يا محمد فأخبرني ما تحت ذلك الجبل قال أرض قال و ما اسمها قال جارية قال و ما تحتها قال بحر قال و ما اسمه قال سهك قال صدقت يا محمد قال فما تحت ذلك البحر قال أرض قال و ما اسمها قال ناعمة قال و ما تحتها قال بحر قال و ما اسمه قال الزاخر قال و ما تحته قال أرض قال و ما اسمها قال فسيحة قال فصف لي هذه الأرض قال يا ابن سلام هي أرض بيضاء كالشمس و ريحها كالمسك و ضوؤها كالقمر و نباتها كالزعفران يحشرون عليها المتقون يوم القيامة قال صدقت يا محمد قال فأخبرني أين تكون هذه الأرض التي نحن عليها اليوم قال النبي ص يا ابن سلام تبدل هذه الأرض غيرها قال صدقت يا محمد فأخبرني ما تحت تلك الأرض قال البحر قال و ما اسمه قال القمقام قال و ما فيه قال الحوت قال و ما اسمه قال يهموت قال صدقت يا محمد قال فصف لي الحوت قال يا ابن سلام رأسه بالمشرق و ذنبه بالمغرب قال فما على ظهره قال الأرض و البحار و الظلمة و الجبال قال فما بين عينيه قال سبعة أبحر في كل بحر سبعون ألف مدينة في كل مدينة ألف لواء تحت كل لواء سبعون ألف ملك قال فما يقولون قال يقولون لا إله إلا الله وحده لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هو حي لا يموت بيده الخير وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قال صدقت يا محمد فأخبرني ما تحت الريح قال الظلمة قال فما تحت الظلمة قال بحارالأنوار ج : ٧٥ ص : ٤٥٢الثرى قال فما تحت الثرى قال لا يعلمه إلا الله عز و جل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن ثلاث من رياض الجنة في الأرض أين تكون قال يا ابن سلام أولها مكة و ثانيها بيت المقدس و ثالثها مدينة محمد قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن الجنة في الدنيا قال أولها إرم ذات العماد و الثانية المنصورية و هي مدينة بالشام و الثالثة قيسارية و هي مدينة بساحل البحر في الشام و الرابعة هي البلقاء و هي أرمنية قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أربع منابر من منابر الجنة في الدنيا أي موضع هي قال يا ابن سلام أولها قيروان و هي إفريقية و الثانية باب الأبواب و هي بأرض أرمنية و الثالثة عبدان و هي بأرض العراق و الرابعة بخراسان و هي خلف نهر يقال له جيحون قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن جهنم في الدنيا قال يا ابن سلام أولها مدينة فرعون في أرض مصر و الثانية أنطاكية و هي بأرض الشام و الثالثة بأرض سيحان و هي بأرض أرمنية الرابعة المدائن و هي بأرض العراق قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن أربعة أنهار في الدنيا و هي من أنهار الجنة قال أولها الفرات و هو بأرض الشام و الثاني النيل و هو بأرض مصر و الثالث نهر سيحان و هو نهر الهند و الرابع جيحون و هو بأرض بلخ قال صدقت يا محمد فأخبرني عن شيء لا شيء و شيء و شيء بعض شيء و شيء لا يفنى منه شيء قال يا ابن سلام أما شيء لا شيء فهي الدنيا يذهب نعيمها و يموت ساكنها و يخمد ضوؤها و أما الشيء بعض الشيء وقوف الخلائق في صعيد واحد فهو شيء بعض شيء و أما شيء لا يفنى منه شيء فالجنة و النار لا يفنى من الجنة نعيمها و لا ينقص من النار عذابها فمن قال من العباد أن نعيمها يفنى أو عذاب الله ينقضي فهو كافر بالله في كل شيء قال صدقت يا محمد فأخبرني عن جبل قاف ما خلفه و ما دونه قال يا ابن سلام خلفه أرض ذهب و سبعون أرضا من فضة و سبعة أرضين من مسك قال فما سكان هذه الأرضين قال الملائكة قال كم طول كل أرض منها و






كم عرضها قال طول كل أرض منها عشرة آلاف سنة و عرضها كذلك قال صدقت يا محمد فما وراء ذلك قال حجاب الريح قال فما وراء ذلك قال من صح كيف محيط بالدنيا كلها تسبح الله تعالى قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أهل الجنة يأكلون و يشربون و لا يتغوطون و لا يبولون قال نعم يا ابن سلام مثلهم في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه و يشرب مما تشربه و لا يبول و لا يتغوط و لو راث في بطنها و بال لانشق بطنها قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أنهار الجنة ما هي قال يا ابن سلام لبن لم يتغير طعمه و خمر و عسل مصفى و ماء غير آسن قال صدقت يا محمد فجامدة هي أم جارية قال بل جارية بين أشجارها قال فهل تنقص أم تزيد قال لا يا ابن سلام قال فهل لذلك مثل في الدنيا قال نعم قال و ما هو قال يا ابن سلام انظر إلى البحار تمطر فيها السماء و تمدها الأنهار من الأرض فلا تزيد و لا تنقص قال صف لي أنهار الجنة قال يا ابن سلام في الجنة نهر يقال له الكوثر رائحته أطيب من رائحة المسك الأذفر و العنبر حصاه الدر و الياقوت عليه ختام من اللؤلؤ الأبيض و هو منزل أولياء الله تعالى قال صدقت يا محمد فصف لي أشجار الجنة قال في الجنة شجرة يقال لها طوبى أصلها من در و أغصانها من الزبرجد و ثمرها الجوهر ليس في الجنة غرفة و لا حجرة و لا موضع إلا و هي متدلية عليه قال صدقت يا محمد فهل في الدنيا لها من مثل قال نعم الشمس المشرقة تشرق على بقاع الدنيا و لا يخلو من شعاعها مكان قال صدقت يا محمد فهل في الجنة ريح قال نعم يا ابن سلام فيها ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها الحياة و اللذات يقال لها البهاء فإذا اشتاق أهل الجنة أن يزوروا ربهم هبت تلك الريح عليهم التي لم تخلق من حر و لا من برد بل خلقت من نور العرش تنفخ في وجوههم فتبهي وجوههم و تطيب قلوبهم و يزدادوا نورا على نورهم و تضرب أبواب الجنان و تجري الأنهار و تسبح الأشجار و تغرد الأطيار فلو أن من في السماوات و الأرض قيام يسمعون ما في الجنة من سرور و طرب لمات الخلائق شوقا إلى الجنة و الملائكة يدخلون عليهم فيقولون كما قال الله عز و جل في محكم كتابه العزيز سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن أرض الجنة ما هي قال يا ابن سلام أرضها من ذهب و ترابها المسك و العنبر و رضراضها الدر و الياقوت و سقفها عرش الرحمن قال صدقت يا محمد فأخبرني مما يأكل أهل الجنة إذا دخلوها قال يا ابن سلام يأكلون من كبد الحوت الذي يحمل الأرض و ما عليها و اسمه بهموت قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن أهل الجنة كيف يصرفون ما يأكلون من ثمارها و كيف يخرج من أجوافهم قال يا ابن سلام ليس يخرج من أجوافهم شيء بل عرقا صبا أطيب من المسك و أزكى من العنبر و لو أن عرق رجل من أهل الجنة مزج به البحار لأسكر ما بين السماء و الأرض من طيب رائحته قال صدقت يا محمد فأخبرني عن لواء الحمد ما صفته و كم طوله و كم ارتفاعه قال يا ابن سلام طوله ألف سنة و أسنانه من ياقوتة حمراء و ياقوتة خضراء قوائمه من فضة بيضاء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة بالمشرق و ذؤابة بالمغرب و الثالثة في وسط الدنيا قال صدقت يا محمد فأخبرني كم سطر فيه مكتوب قال ثلاثة أسطر السطر الأول بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و السطر الثاني الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و السطر الثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الجنة و النار أيتهما خلق الله قبل قال يا ابن سلام خلق الله الجنة قبل النار و لو خلق النار قبل الجنة لخلق العذاب قبل الرحمة قال فأخبرني عن الجنة أين هي قال في السماء السابعة و النار في تخوم الأرض السفلى قال صدقت يا محمد فأخبرني كم للجنة من باب و كم للنار من باب قال يا ابن سلام للجنة ثمانية أبواب و للنار سبعة أبواب قال فأخبرني كم بين الباب و الباب من الجنة قال مسيرة ألف سنة قال و كم ارتفاعه قال خمسمائة عام عليه سرادق من ذهب بطانته من زمرد على كل باب جند من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى قال فأخبرني فما يقولون قال يقولون طوبى لأهل الجنة و ما يلقون من نعيم الله قال فصف لي من يدخل الجنة قال يا ابن سلام يدخلونها أبناء ثلاثين و بنات ثلاثين سنة في حسن يوسف و طول آدم و خلق محمد قال فصف لي بعض نعيم أهل الجنة قال إن أدنى من في الجنة و ليس في الجنة دني لو نزل به جميع من في الأرض لأوسعهم طعاما و لا ينقص منه شيء و لو أن رجلا من أهل الجنة يبصق في البحار المالحة لعذبت و لو نزل من ذؤابته من السماء إلى الأرض بلغ ضوؤها كضوء الشمس و نور القمر قال صدقت يا محمد فصف لي الحور العين قال يا ابن سلام الحور العين بيض الوجوه فحام العيون بمنزلة جناح النسر صفاؤهن كصفاء اللؤلؤ الأبيض الذي في الصدف الذي لم تمسه الأيدي قال فصف لي النار قال يا ابن سلام أوقد عليها ألف عام حتى احمرت و ألف عام حتى ابيضت و ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ممزوجة بغضب الله تعالى لا يهدأ لهيبها و لا يخمد جمرها يا ابن سلام لو أن جمرة من جمرها ألقيت في دار الدنيا لألهبت ما بين المشرق و المغرب لعظم خلقها و هي سبعة أطباق الطبقة الأولى للمنافقين و الثانية للمجوس و الثالثة للنصارى و الرابعة لليهود و الخامسة سقر و السادسة السعير و أمسك النبي ص عن السابعة و بكى حتى ارفضت دموعه على لحيته و قال أما السابعة و هي أهونها لأهل الكبائر من أمتي قال صدقت يا محمد فأخبرني عن القيامة و كيف تقوم قال يا ابن سلام إذا كان يوم القيامة كورت الشمس و اسودت و طمست النجوم و سيرت الجبال و عطلت العشار و بدلت الأرض غير الأرض قال صدقت يا محمد قال النبي ص يقام الخلائق لفصل القضاء و يمد الصراط و ينصب الميزان و تنشر الدواوين و يبرز الرب لفصل القضاء قال صدقت يا محمد فأخبرني كيف يميت الله الخلائق يوم القيامة قال يا ابن سلام يأمر الله ملك الموت فيقف على صخرة بيت المقدس فيضع يمينه على السماوات و يده اليسرى تحت الثرى و يصيح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ملك مقرب و لا إنس و لا جان و لا طائر يطير إلا خر ميتا فتبقى السماوات خالية من سكانها و الأرض خرابا من عمارها و العشار معطلة و البحار جامدة حيتانها و الجبال مدكدكة و الشمس منكسفة و النجوم منطمسة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا قال يا ابن سلام إذا أمات الله الخلائق و لم يبق شيء له روح يقول الله عز و جل يا ملك الموت من أبقيته من خلقي و هو أعلم فيقول يا رب أنت أعلم مني بما بقي من خلقك ما خلق إلا و قد ذاق الموت إلا عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله عز و جل يا ملك الموت أذقت عبادي و أنبيائي و أوليائي و رسلي الموت و قد سبق في علمي القديم و أنا علام الغيوب أن كل شيء هالك إلا وجهي و هذه نوبتك فيقول إلهي و سيدي ارحم عبدك ملك الموت فإنه ضعيف فيقول الله عز و جل له يا ملك الموت ضع يمينك تحت خدك الأيمن بين الجنة و النار و مت قال عبد الله بن سلام بأبي أنت و أمي يا رسول الله و كم بين الجنة و النار قال مسيرة ثلاثين ألف سنة من سنين الدنيا فيضطجع ملك الموت على يمينه و يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن و يده الشمال على وجهه و يصرخ صرخة فلو أن أهل السماوات و الأرض أحياء لماتوا لشدة صرخته قال صدقت يا محمد فأخبرني ما يصنع الله بالسماوات إذا مات سكانها قال يطويها بيمينه كطي السجل للكتب ثم يقول الله جل جلاله و تقدست أسماؤه و لا إله غيره و لا معبود سواه أين الملوك و أبناء الملوك أين الجبابرة و أبناء الجبابرة فلا يجيبه أحد ثم يقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه الملك لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ قال صدقت يا محمد فأخبرني كيف يحشر الله الخلائق يوم القيامة بعد موتهم قال النبي ص يا ابن سلام يحيي الله إسرافيل و هو أول من يحييه من خدمه و هو صاحب الصور أولا فيأمره الله عز و جل أن ينفخ في الصور قال فأخبرني ما يقول إسرافيل في الصور قال يا ابن سلام يقول أيتها العظام البالية و الأعضاء المتفرقة و الشعور المنفصلة هلموا إلى العرض على الله تعالى الملك الجبار خالق السماوات و الأرض ثم ينفخ في الصور أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ قال فكم طول كل نفخة قال مسيرة أربعين ألف سنة قال صدقت يا محمد فكم كلمة يتكلم فيه إسرافيل قال ست كلمات قال و ما تلك الكلمات قال الكلمة الأولى يكون الناس طينا و الثانية يكونون صورا و الكلمة الثالثة تستوي الأبدان و الكلمة الرابعة يجري الدم في العروق و الكلمة الخامسة ينبت الشعر و الكلمة السادسة قوموا فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ قال صدقت يا محمد فأخبرني كيف يقوم الخلائق يوم القيامة من القبور قال يا ابن سلام يقومون عراة حفاة أبدانهم خالية بطونهم ظلمة أبصارهم وجلة قال الرجال ينظرون إلى النساء و النساء ينظرون إلى الرجال قال هيهات يا ابن سلام لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ من شدة هول



لما قبل كسائر اليهود ولو سلّمنا ذلك كله نقول هل الله ﷻ سكت عن محمد ﷺ لو كان كاذباً ولم يظهر كذبه وهو ﷻ هادي المضلين ومرشد المسترشدين والعالم بما في قلوب العالمين ولا يلزم من ذلك إهلاكه كما أنه ما أهلك عاداً الأولى وما أهلك نمرود وفرعون لما ادعى كل منهما أنا ربكم الأعلى بل أمهلهم لينالوا نصيبهم من الكتاب. ولكن في مدة الإمهال بيّن كذبهم وأظهر فسادهم وجعل علامات ودلالات تنبيء عن بطلان ما قالوا وفعلوا. ولما نالوا نصيبهم من الكتاب أتاهم أمر رب الأرباب فأهلكهم فصاروا إلى التراب إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب .

أما قول ذلك الشيخ الضال : لا سبيل له إلى فك هذا الاعتراض إلا بأن يقول أن كتب موسى لم تبق على ما كانت أولاً وأنها تغيرت فإن فيما ذكرناه آنفاً غنى وكفاية عن تغيرها وإلا لو كانت باقية على ما أنزلها الله سبحانه لاتجه اعتراض أولئك السابقين مع أن في القرآن موجود أنهم حرّفوا الكلم عن مواضعه ولو لم يكن لهذا الكلام أصل والتحريف باطل لأنكروا عليه غاية الإنكار لأنه يفتري عليهم ويزري على كتبهم ويأتي بالباطل الواضح والكذب الصريح وهو يقول بعد ذلك ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ (١) ويقول ﴿ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) .

القيامة قال صدقت يا محمد ثم أمسك ابن سلام عن الكلام قال النبي ص سل عما شئت يا ابن سلام فقال الحمد لله الذي من علي بالنظر إلى وجهك المليح فأخبرني إذا كان يوم القيامة أين يحشر الخلائق قال النبي ص يحشر الله الخلائق إلى بيت المقدس قال و كيف ذلك قال يأمر الله عز و جل نارا فتحيط بالدنيا و تضرب وجوه الخلائق فيهربون منها و يمرون على وجوههم فيجتمعون إلى بيت المقدس قال صدقت يا محمد فأخبرني ما يصنع الله بالطفل الصغير و الشيخ الكبير قال يا ابن سلام من كان مؤمنا بالله سارت به الملائكة و انقضت النار عن وجهه و من كان كافرا تلفح وجهه النار حتى يؤتى به إلى بيت المقدس قال صدقت يا محمد فأخبرني كم تكون صفوف الخلائق قال يا ابن سلام مائة و عشرون صفا قال فكم طول كل صف و كم عرضه قال يا ابن سلام طوله مسيرة أربعين ألف سنة و عرضه عشرون ألف سنة قال صدقت يا محمد فأخبرني كم صف المؤمنين و كم صف الكافرين قال صفوف المؤمنين ثلاث صفوف و مائة و سبعة عشر صفا للكافرين قال صدقت يا محمد قال فما صفة المؤمنين و ما صفة الكافرين قال يا ابن سلام أما المؤمنون فغر محجلون من أثر الوضوء و السجود و أما الكافرون فمسودون الوجوه فيؤتى بهم إلى الصراط قال و كم طول الصراط قال مسيرة ثلاثون ألف سنة قال صدقت يا محمد فأخبرني كيف تمر الخلائق على الصراط قال يا ابن سلام يكسو الله الخلائق نورا فأما نور المسلمين و نور المؤمنين فمن نور العرش و نور الملائكة من نور الكرسي و نور الجنة فلا يطفأ نورهم أبدا و أما الكافرون فمن الأرض و الجبال قال فأخبرني عن أول من يجوز على الصراط قال المؤمنون قال صدقت يا محمد فصف لي ذلك قال يا ابن سلام في المؤمنين من يجوز على الصراط عشرين عاما فإذا بلغ أولهم الجنة تركب الكفار على الصراط حتى إذا توسطوا أطفأ الله نورهم فيبقون بلا نور فينادون بالمؤمنين انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ فيقال لهم أليس فيكم الأنبياء و الأصحاب و الإخوة فيقولون أو لم نكن معكم في دار الدنيا قالوا بَلى وَ لكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ فيأمر الله عز و جل جهنم فتصيح بهم صيحة على وجوههم فيقعون في النار حيارى نادمين و ينجو المؤمنين ببركة الله و عونه قال صدقت يا محمد فأخبرني ما يصنع الله بالموت قال يا ابن سلام إذا استوى أهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار أتي بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة و النار فيقال لأهل الجنة يا أولياء الله هذا الموت أ تعرفونه فيقولون نعم فيقولون لهم نذبحه فيقولون نعم يا ملائكة ربنا اذبحوه حتى لا يكون موت أبدا فيقولون لأهل النار يا أعداء الله هذا الموت هل تعرفونه فيقولون نعم فتقول الملائكة نذبحه فيقولون يا ملائكة ربنا لا تذبحوه و دعوه لعل الله يقضي علينا بالموت فنستريح قال النبي ص و يذبح الموت بين الجنة و النار فييأس أهل النار من الخروج منها و تطمئن قلوب أهل الجنة للخلود فيها فعندي لك أن تسلم قال صدقت يا محمد و نهض على قدميه و قال امدد يدك الشريفة أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أنك رسول الله و أن الجنة حق و الميزان حق و الحساب حق و الساعة آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ فكبرت الصحابة عند ذلك و سماه رسول الله عبد الله بن سلام و صار من الصحابة و نقمة على اليهود .

(١) فصلت ٤٢ .

(٢) آل عمران ٦١ .





ويكفي بالتحريف عدم إنكارهم مع شدة تعصبهم وتصلبهم في كفرهم وعداوة هذا النبي المكرم والسيد المعظم ﷺ ولا ريب أن الخصم لا يبقي حجةً إن ظفر بها إلا ويهيج بها على خصمه ولو كانت ضعيفة فما ظنك بها إذا وجد حجةً واضحة وبينة ظاهرة. فلوأمكنهم أن يحتجوا بهذا الذي ذكره هذا الشيخ ولو زورا بهتاناً لفعلوا لئلا يلحقهم عار الجزية وصغارها مع ما في نفوس العرب من الكبر والعلو فكيف ذلوا وعندهم ما يمنعهم عن ذلك فليس إلاّ لأجل صحة ما في القرآن وتغيير كتبهم لو كان فيها ما يخالف ذلك وهذا ظاهر معلوم .

وأما قوله : إن كنت منصفاً فتأمل بأنه لو قال أحد بأن القرآن قد تغيّر هل كان المسلمون يسلّمون بذلك ؟

فلا شك في ذلك ولا ريب وأن المسلمين الناجين يسلّمون بذلك ويقولون أن القرآن قد تغير ونقص وحذف وحرف لا بأنه زاد فيه كلام منظوم لأن ذلك محال لأنه معجزة فلو أمكن لأحد أن يأتي بمثله لم يكن بمعجزة فالتحريف والتغيير بزيادة كلام مرتبط له معنى صحيح يصح السكوت عليه لم يقع قطعاً للبرهان القاطع .

وأما التحريف والتغيير بالنقيصة أو نقصان آية من محل وزيادتها في محل آخر قد وقع وفعل ذلك أهل الجور والاستيلاء من أهل الباطل من منافقي أهل الإسلام الذين آمنوا بمحمد ﷺ لا للدين إنما هو بطمع الرئاسة كما فعل منافقوا بني إسرائيل تركوا هرون وعبدوا العجل فكيف يمكن لهم مع عبادة العجل العمل على التوراة كما أنزلت لأن فيها ترك عبادة كل ما سوى الله ؟

وبعدما جاء موسى وقاتلهم ما خرجت محبة العجل عن قلوبهم وهم على ذلك المذهب باقون وعلى النفاق والغي مصرّون وهم وأمثالهم وأمثال أمثالهم من منافقي كل أمة وملة إذا استولوا يحرّفون ويبدّلون ويغيّرون لعن الله المغيرين والمبدلين والمحرفين من الأولين والآخرين .

وأما قول هذا الشيخ الضال : مع أنهم لا يمكنهم أن يستدلوا على صحة كتابهم بما يعادل دلالتنا على صحة كتابنا من حيث انتشار عدة نسخ في جميع الآفاق إلى أن قال بلغات مختلفة وأنها محفوظة عند الفرق ففيه أنا استدللنا على صحة كتابنا بأنه معجزة نبينا ﷺ وأن جميع الخلق لا سيما العرب عاجزون عن الإتيان بمثله من



الأولين والآخرين من أهل زمانه وبعده إلى يوم القيامة على تفاوت درجاتهم في العلم والمعرفة وتبيان ترقياتهم في العلوم الحقيقية والاسمية وأنه سبحانه إنما أنزله بعلمه ولا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثله إلا أن يكون خالق آخر، وأدلة التوحيد أبطلته .

فهو لغة واحدة ظاهراً ولكنها مشتملة على جميع اللغات والعلوم والأسرار والحقائق وفيه تفصيل كل شيء وهو كلام الله الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] .

فلوكان باطلاً لبيّن الله سبحانه بطلانه وألهم في قلب أحد أن يأتي بمثله مع أن النبي ﷺ تحدّى به العرب وإن لم يكن حقاً يلزم أن يكون الله مغرياً بالباطل ومصدقاً للكاذب ويكون للخلق حجة عليه قد لبّس الأمر على خلقه ولم يهدهم واضح طريقه فإن الرجل يدّعي عليه وينسب إليه ويفتري عليه كلاماً عجز معاصروه وأهل اللسان في حال حياته وبعد مماته إلى حدود المائتين وسبعة وخمسين بعد الألف من الهجرة المشرفة على مهاجرها آلاف الثناء والتحية وإلى الآن لم يحصل أحد ولن يحصل ينقض هذا الباطل ويحقق الحق . وجماعة من الخلق معتقدون حقيته لأجل عجزهم عن الإتيان بمثله ولم يأت أحد بمثله مع حصول التحدي والله سبحانه لم يبين لهم الحق فأي رب هاد يكون مثل هذا الرب ؟

فلو جاز ذلك وأن الشخص منتظر بعد ألف وثلثمائة سنة تقريباً وجود معارض ويحتمل أن يأتي أحد بمثل القرآن لبطلت النبوات ولم تثبت لنبي نبوته لقيام هذا الاحتمال الباطل والتوهم الزائل ولا أظن أن عاقلاً يلتزم بهذا المذهب السخيف .

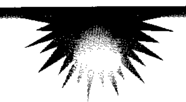
وأما قوله أن كتابهم بلغات مختلفة وأنها محفوظة عند الفرق فإن كان مرادهم بالكتاب هذا المغيّر فلربما يصح وإن الكتاب الأصلي وهو الإنجيل الذي نزل على نبي الله عيسى فدون إثباته خرط القتاد .

قال حكاية عن ذلك الشيخ النصراني : وأما ما يدّعيه المسلمون من أن في الفصل الرابع عشر من إنجيل يوحنا الذي فيه يوعد بإرسال فارقليط قد كان مسطوراً ما وصف به نبيهم وأن النصارى محوه وبدّلوه .

ثم قال : يا ليت شعري أهذا التغيير هل وقع بعد ظهور نبيهم أو قبل ظهوره ؟

(١) فصلت ٤٢ .





فإن كانوا يزعمون أنه وقع بعد ظهوره فهذا غير ممكن لأنه قد وجدت إذ ذاك عدة نسخ في جميع آفاق الأرض وباللغات المتغايرة كلها توافق بعضها بعضاً في ذلك الفصل لا خلاف بينها فيه وإن كان زعمهم أنه وقع قبل ظهوره فحينئذ ما الذي كان يدعو المغيرين إلى ذلك إذ لم يمكنهم بسابق علمهم أن يعرفوا ما كان محمد ﷺ مزمعاً أن يأتي به .

ثم إنه يا مولاي أخذ في ذكر المعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام من إبرائه الأكمه والأبرص وإنهاضه المقعدين وإحيائه الأموات .

ثم قال: وإن محمدا ﷺ لم يأت بالمعجزات بل بالسيف ولكن نقلت عنه المعجزات ولكنها أي معجزات وإنما كانت أما مما أمكن فعله بحيلة تقوم بها القوة البشرية أو مما لم تكن عليه شهود أو من المحال الذي يستفظعه العقل مثلما حكي عن انشقاق القمر وهي كلها على حال لا يعتمد عليها ، واتبعت الشريعة لأنها قد سهل السيف طريق أقدامها حتى أن علماءهم يستدلون على صحة شريعتهم بكثرة الغلبات والقتال الذي هو من شأن الملوك لأخذ بعضهم بعضاً ، ولو كان في ذلك دليل لما كان لهم أيضاً لأنهم لم يكن الغلب لهم دائماً بل انهزموا في البحر والبر مراراً .

أقول : قول الشيخ النصراني : وأما ما يدعيه المسلمون إلى قوله : وأن النصارى محوه وبدلوه . فلا ريب أن دعواهم صحيحة وأنه إلى الآن باق في التوراة والإنجيل وإن لم يذكروه في الإنجيل المترجم خوفاً من أن يراه المسلمون ويحتجون به عليهم ولم يعلموا أن المسلمين ما لهم حاجة إلى ذلك في إثبات مدعاهم من نبوة نبيهم فإن القرآن الذي أنزل عليه أقوى حجة وأبلغ بينة وهي معجزة مستمرة باستمرار نبوته ﷺ إلى نفخ الصور وهذا التغيير الذي جعل له شقوق ورتب عليه زخاريف من الكلام نقول أنه وقع بعد رفع عيسى -على نبينا وعليه السلام- إلى السماء واختلافهم على شمعون الصفا وتفرقهم فرقاً فبلغوا اثنتين وسبعون فرقة كلهم في النار إلاّ فرقة واحدة وهم الذين اتبعوا شمعون الصفا وصي عيسى عليه السلام .

ولوكان لي مجال وللقلب إقبال ذكرت لك الفرق ومذاهبها واختلافاتها ولكنه لا حاجة بنا إلى ذلك إلا لمحض الاطلاع وبيان أنا مطلّعون على مذاهبهم وفرقهم



والعقائد السخيفة التي يعتقدونها و ينسبونها إلى الله وإلى نبي الله عيسى وإلى روح القدس مما يأبى العقل السليم اعتقاده والديانة به وإلا فأمرنا أوضح من الشمس وأبين من الأمس.

وقوله : (إن كان زعمهم أنه وقع قبل ظهوره .. إلى قوله : أن يعرفوا ما كان محمد ﷺ مزمعاً أن يأتي به) تسويل وتلبيس وتمويه فإن عيسى-على نبينا وآله وعليه السلام- قد أخبرهم بنبي آخر الزمان كما نطق به القرآن وعدم تصديقهم للقرآن لا يضرنا لأن بشارة عيسى بمحمد ﷺ بعده قد ذكرت في القرآن بمرئى من النصارى وبمسع منهم فلو ما كان هذا الإخبار عن عيسى عليه السلام للزمهم الإنكار على النبي ﷺ والتكذيب له ومطالبته موضع ذكره في الإنجيل ونراهم ما طالبوه بل سلموا له وما صدقوه وابتلوا ببلوى الصغار وتحمّل العار والشنار .

أما تراهم كيف أنكروا على النبي ﷺ في لفظ (كبّار) والإستهزاء في القرآن زعماً منهم بأنها ليست بلفظة عربية حتى أن النبي ﷺ دعى بشيخ منهم طاعن في السن وأمره بالقعود ثم بالقيام فقال الشيخ : أتستهزئ بي وأنا شيخ كبّار ، ثم التفت إليهم النبي ﷺ وقال اسمعوا فإذا أنكروا عليه ﷺ في مثل هذه الأشياء الواضحة البسيطة فكيف يسكتون عن الأكاذيب الصريحة والافتراءات الواضحة ؟

ولو سلمنا أن عيسى ما أخبرهم فقد وجدوا في الإنجيل من صفات النبي المكرم والمرسل المعظم ﷺ وصفاته وأحواله وعزموا على عدم متابعته خوفاً من خروج الرئاسة عنهم ولو أبقوها في الإنجيل لكانت حجة عليهم فلم يجدوا بداً عن محوها وتغييرها كما فعلوا منافقي أمة محمد ﷺ .

وأيضاً فإن الكهنة والأجنة والشياطين الذين يسترقون السمع في تلك الأيام كثيراً ما كانوا يخبرون أولياءهم بظهور محمد ﷺ وأولئك الكفرة ما كانوا عازمين على متابعته والانقياد له فمحوا كتابهم وغيروه ليتمكنوا من ذلك عند ظهوره ﷺ أما سمعت اليهود وقد عزموا على قتله ﷺ وهو طفل صغير وما مكنهم الله منه مع أنه ﷺ في صغره ما ادعى النبوة وما ادعاها إلا بعد أربعين سنة ومع ذلك تراهم حاولوا قتله وهو في بطن أمه إلى أن أظهر الله نبوته ﷺ وبين رسالته ودعى الناس إليها.





فالذي أوجب على اليهود ودعاهم إلى محاولة قتله في صغره هو الذي دعى النصارى إلى تغيير كتابهم وتحريفه وهذا الذي ذكرناه هو النتيجة والخلاصة للتغيير وإلا فله أسباب ومقتضيات يطول بذكرها الكلام ضبطت في ما ذكره القوم في المطولات في مباحث النبوة ونحن قصدنا الإشارة بمختصر العبارة ودحض الباطل وقلع الفساد .

وأما قولكم : ثم أخذ في ذكر المعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام إلى آخره .... فهو كما ذكر فإن روح الله عيسى من أولي العزم من الأنبياء المرسلين وله شأن عند الله عظيم وقدر جليل وهو أشرف الأنبياء بعد الأربعة من أولي العزم والمثل القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو حي موجود مرتفع إلى السماء الرابعة متمكن في البيت المعمور ومنتظر لظهور مولانا الحجة-روحي له الفداء وعلى آبائه السلام وهو من حملة العرش، ومن بعض ظهورات أفعاله إبرائه الأكمه والأبرص وإنهاضه المقعدين وإحيائه للأموات ومقامه أجل وأعظم من ذلك وفوق ما تقول النصارى وفوق ما نقول .

أما النصارى فما عرفوه حق معرفته ووصفوه بغير صفته ووسموه بغير سمته، فمرة وصفوه بأنه الله وأخرى بأنه ابن الله وأخرى بأنه أحد تعين الله وأمثالها من المزخرفات إلا الذين اتبعوا شمعون الصفا ووصفوه بأنه عبد الله ورسوله وروحه الذي ألقاه الله إلى مريم وإن مثله عند الله ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[1] .

فهو عليه السلام في الفخر والشرف فوق ما نقول ويقوله القائلون من الرعية ولا ريب في ذلك ولا شك ولا شبهة فيه ولكن عيسى لا يستنكف أن تنسخ نبوته وتثبت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويكون واحداً من رعاياه ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ ﴾[2] .

وقول الشيخ النصراني: وأما محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لم يأتي بمعجزات بل بالسيف ولكن نقلت عنه المعجزات أيضاً ولكنها أي المعجزات وإنما كانت إما مما أمكن

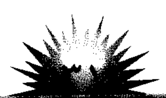
(١) آل عمران ٥٩ .
(٢)النساء ٧٢ .



فعله بحيلة تقوم بها القوة البشرية أو مما لم تقم عليه الشهود أو من المحال الذي يستبشعه العقل مثلما حكي عن انشقاق القمر وهي كلها على حال لا يعتمد عليها كلام باطل ومجتث زائل .

أما قوله: وأما محمد ﷺ فإنه لم يأتي بالمعجزات بل بالسيف فأي معجزة أظهر وأبهر من القرآن الذي لو اجتمعت عليه الجن والإنس لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وأي معجزة كانت لعيسى عليه السلام تساوي لهذه المعجزة فضلاً من أن تكون أقوى منها فإن إبراءه الأكمه والأبرص ربما تتطرق الشبهة إليه إذ يمكن للأطباء الماهرين فعله ، كإحياء الموتى لأنه قد اتفق لبعض الأطباء إحياء ميت جديد وإن كان ما أتى به عيسى عليه السلام معجزة هي إحياء الميت البالي لكن ما تدفع الشبهات بالكلية إلا بمعونة قرائن أخر بخلاف القرآن فإنه حروف وألفاظ يستعملها كل أحد من العرب وهي كثيرة الدوران وشيء يجري على اللسان مادته الهواء وصورته تقطيع الحروف وضم بعضها إلى بعض وهذا أسهل ما يكون لكل أحد ومع ذلك كله أتى رسول الله ﷺ بتأليف وتركيب أعجز الكل عن الإتيان بمثله وتحدّاهم وقال لهم ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[1] فتبطل بعد ذلك نبوته وتنقطع حجته ومع ذلك ما أمكن لأحد أن يأتي بسورة من مثله ولا أن يجروا كلامهم على هذا المسلك إذ لا يشبه القرآن شيئاً من كلام المخلوقين لا منثورهم ولا منظومهم ولا خطبهم ولا غيرها مما يستعملوها لأنه خلق مثل الإنسان فمن قدر أن يخلق خلقاً مثل الإنسان يقدر أن يأتي بسورة من مثل القرآن فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا ولا مكنّهم الله من ذلك علمنا علماً يقيناً وقطعنا قطعاً حقيقياً أن القرآن معجزة انحطت دونها المعاجز وكلت عن الإتيان بمثله الطبائع والغرائز وهي باقية مستمرة إلى يوم القيامة وأي معجزة من معاجز الأنبياء استقرت وبقيت ببقاء نبوته؟ ولم يحصل ذلك لأحد من الأنبياء سوى نبينا نبي الرحمة ﷺ ومع ذلك إنكار كونه معجزة ينشأ إما من عدم كمال الإنصاف والدخول في الجور والاعتساف أو لكمال قلة الإدراك والفهم وضعف المعرفة والجهل بمواقع

(١) البقرة ٢٣ .



الأشياء وكلاهما موجودان في طائفة الكفار من اليهود والنصارى وسائر الفرق لأن رؤساءهم معاندون ولا ينصفون لا لأمر الله يعقلون ولا من أوليائه يقبلون حكمة بالغة فما تغني النذر .

وأما جهالهم فضعفاء مستضعفون صم بكم عمي فهم لا يبصرون ، ويقولون إذا دخلوا نار جهنم وهم فيها كالحون ﴿وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ * رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾[1] فيالها من حسرة لا تنقضي ولهبة لا تنطفي نسأل الله العصمة وحسن الخاتمة .

وأما أنه ﷺ قام بالسيف فليس بنكر ولا ببدع من الرسل بل هكذا كانت سيرة الأنبياء إذا ما أغنت قومهم المعجزات ولم يذعنوا للآيات البينات كانوا يحكّمون السيف فيهم وإلا لم تقم حجة ولا تعلو للحق كلمة ولا تظهر عن الله بينة لأن الناس أهل الدنيا لا يردعهم الخوف من الله ولا الإيمان بيوم الآخرة ، وإذا استولى أهل الباطل كمال الاستيلاء ما ظهر الحق وما بلغ إلى الخلق لأنهم يمنعون ظهوره ولذا تقاتلهم الأنبياء بالسيف حتى تضعف شوكتهم وتصل كلمة الحق إلى القاصي والداني وينتبهون للحق فهنالك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

ولذا ترى نبينا ﷺ إذا تمكن من طائفة ما يلجئهم إلى الإيمان والإسلام فيقبل منهم الفدية ويمّن عليهم ويأخذ منهم الجزية ويقاتلهم لأجل كسر شوكتهم وباطلهم والتمكن من إظهار الحق وإعلاء كلمة الله ولذا حارب موسى العمالقة ومحاربة موسى مع العمالقة وبعده وصيه يوشع بن نون معلومة مشهورة لا تنكرها النصارى موجودة في كتب التواريخ والسير ولا ريب في ذلك ومن تلك المحاربة والمقاتلة وقعودهم عن الحرب وقعوا في التيه وبقوا فيه أربعين سنة فهل هذا قدح في نبوة موسى بن عمران؟ نعم إنما يكون قدحاً إذا لم يأت النبي بالمعجزة ولم يأت بخارق العادة ولم يتبين له دعاء مستجاب ولم تظهر عناية الله معه في كل باب وهذه كلها منتفية في النبي ﷺ لظهور المعجزة والإتيان بخرق العادة فلو أنكرت سائر معجزاته ما يسعك إنكار القرآن فإنه أجلى معجز وإن لم تصدقني فأت بمثله أو

(١) الأحزاب ٦٧ - ٦٨.

بسورة من مثله واستعن بكلما تريد من الإنس والجان والسحرة والكهنة وأهل الجفر والجامعة وكل شيء يرجى فيه حصول المطلوب فإن أتيت بمثله تبطل بذلك نبوة ذلك النبي وان أمكن المصير لهذه الاحتمالات لم تثبت لنبي نبوة ولا لرسول شريعة فعلى الدين السلام وهذا شيء معلوم إنكاره مكابرة للضروري ومصادمة للبديهي.

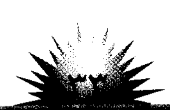
فإن عابوا على نبينا ﷺ القيام بالسيف فإن كان من جهة أن النبوة لا تقتضي ذلك فقد علمت أن ذلك مقتضى النبوة بعد اظهار المعجزة وإلا لبطلت جميع الحدود والتعزيرات وذلك في البطلان بمكان وان كان من جهة أن عيسى عليه السلام ما فعله فقد فعله نبي الله موسى عليه السلام ولو كان كل ما لم يفعله عيسى حجة على سائر الأنبياء وجب أن تبطل نبوة جميع الأنبياء لأن عيسى ما تزوج أيضاً وسائر الأنبياء من آدم إلى الخاتم كلهم تزوجوا وعيسى لم يكن له أولاد وسائر الأنبياء لهم أولاد وهكذا سائر الأحوال فإن النبوة ليس مناطها فعل نبي خاص فعلاً خاصاً أو عدم فعله فعلاً خاصاً لاختلاف اقتضاءات الأنبياء ومصالح الرعية وأمثال ذلك بل المناط في النبوة ما تحقق به من ادعائها وخرق العادة المقرون بالتحدي .

وأما القتل والنهب والأسر والقصاص وإقامة الحدود للمعاصي المعلومة والتعزيرات وكل ذلك من اقتضاءات النبوة وفروعها ولا تقوم إلا بها وقد يكون بعض الأنبياء مكلفين بحسب مصالح رعيتهم بالإتيان بكلها كما فعل إبراهيم وموسى ونبينا -صلى الله عليه وآله وعليهم- وقد تكون المصلحة للتعرض لبعضها والإعراض عن البعض كما فعله عيسى ويحيى عليهما السلام وهذا شيء معلوم واضح .

وأما قوله : أن معجزات نبينا ﷺ إما مما أمكن فعله بحيلة تقوم بها القوة البشرية. ما أدري أي معجزة أرادها ؟ فإن كان يريد بها القرآن فأي حيلة تقوم بها القوة البشرية على الإتيان بها فهلا احتالوا بتلك الحيلة وأتوا بمثله وخلصوا من الذل والصغار والعار والشنار وإعطاء الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ؟.

وإن كان يريد به انتفاء ظله إذا وقف في الشمس أو تسبيح الحصى بيده[1] أو حنين

(١) بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧٩ عن ابن عباس قال (قدم ملوك حضرموت على النبي ص فقالوا كيف نعلم أنك رسول الله فأخذ كفا من حصى فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده و شهد أنه رسول الله النبي ص قال إني لأعرف حجرا بمكة ما مررت عليه إلا سلم علي) .



الجذع اليابس عند فراقه[1] أو تأثير وطي رجله الشريفة في الحجر وعدم تأثيره في الرمل والتراب والوحل . أو لارتفاعه على كل من وقف معه كائناً من كان على حسب نظر ذلك الواقف حتى أن الطير لا يمر على رأسه الشريف أو بإنباع الماء في البئر بعدما كانت يابسة وغزارة مائه بتفله ﷺ فيها وانشقاق الإيوان ليلة ولادته ﷺ وخمود النار في فارس وغور بحيرة ساوة وغيرها مما يضيق بذكرها الاحصاء ولا يمكن لأحد الاستقصاء فأي حيلة في هذه الأشياء تقوم بها القوة البشرية دون ما أتى به موسى وعيسى من المعجزات التي لا تقوم بها الحيلة البشرية فما لكم كيف تحكمون وإلى كم بالحق تعاندون وعن الحق تعرضون كأنكم حمر مستنفرة فرت من قسورة .

وقوله : (أو من المحال الذي يستبشعه العقل مثل ما حكي من انشقاق القمر) .

أي محال في انشقاق القمر ؟ فإن كان من جهة أن الخرق والالتئام لا يجوز فقد برهنا في كثير من مباحثاتنا على أنهما في الفلك يجوز وعلى فرض عدم جوازه لا يلزم عن انشقاق القمر الخرق والالتئام فإن الكوكب قوة متآلفة عارضة على جسم الفلك فتميز تلك القوة عن الجسم لا يوجب خرقاً ولا التئاماً وقد برهنا على هذه المسألة في كثير من كتبنا ورسائلنا ومباحثاتنا فليرجع إليها من يريدها لأني مع ما أنا عليه من كثرة الأشغال وتبلبل البال ومعانات السفر بالحل والارتحال لا يسعني أكثر مما أتيت به من المقال ولكن فيه ما يشفي العليل ويروي الغليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وإن كان من جهة أن النصارى واليهود ما أثبتوا في كتبهم ودفاترهم وإن كان هذا لا يدل على محاليته فنقول : بيّنا لك سابقاً أنهم محوا ما كان ثابتاً في الكتب السماوية مما يدل على نبوته ﷺ وخلافة آله -عليه وعليهم السلام- كيف يثبتون معجزاته وآياته وبيناته لأن المنكر المعاند لا يذكر ما يدل على ما يغلب به خصمه عليه ، وأما المصدقون بنبوته فقد أثبتوه وذكروه وأوضحوه وهذه كتب التواريخ فانظر فيها حتى ترى الأمر عياناً وهو في القرآن أيضاً مذكور فلو لم يكن واقعاً لماذا ما أنكروا

---

(١) بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧٥ روي أنه ص كان في مسجده جذع كان إذا خطب فتعب أسند إليه ظهره فلما اتخذ له منبر حن الجذع فدعاه فأقبل يخد الأرض و الناس حوله ينظرون إليه فالتزمه و كلمه فسكن ثم قال له عد إلى مكانك و هم يسمعون فمر حتى صار في مكانه فازداد المؤمنون يقينا .



عليه لا والله لو وسعهم لأنكروا ولكنه من الظهور بحيث لا يمكن لهم الإنكار .

وأما قوله : (واتبعت الشريعة لأنها قد سهل السيف طريقها) .

أي ضرر في ذلك إذا كانت المعجزات ما أغنتهم والآيات ما كفتهم ولا بدّ من إعلاء كلمة الحق فلا يفيدهم إلا السيف ولا شك أن السيف سهل سبيلها وميز الخبيث من الطيب نعم السيف من غير المعجزة ومن غير الدعوة والتحدي بالمعجزة بالنسبة إلى النبي قبيح وهو خلاف ما نحن فيه .

وأما قوله :(حتى أن علماءهم يستدلون على صحة شريعتهم بكثرة الغلبات والقتال ... إلى آخره) فهذا كلام باطل لأن علماء الحق لا يستدلون بهذا الدليل الباطل وحاشاهم عن ذلك ثم حاشاهم وربما كان ذلك من بعض علماء الباطل من فرق الإسلام وإلا فالحق لا يستدل عليه بالغلبة إلا بغلبة الحجة والبرهان والدليل والبيان كما قال الحق سبحانه : في القرآن ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[1] والحمد لله رب العالمين.

تنبيه : اعلم أن الشخص إذا ادّعى النبوة بأنه مبعوث من الله لا يخلو أما أن يصف ربه بالصفات الكمالية وينزهه من الصفات التنقيصية الإمكانية ويثبت له محاسن الأفعال وينزهه عن قبائح الأعمال . ثم هو من سلسلة شريفة معروفة كريم الأخلاق وطيب الأعراق يأتمر بما يأمر وينتهي عما ينهى عامل بشريعته عابد لربه زاهد عما عداه طالب رضاه راغب إلى مولاه أو ليس كذلك بل يصف ربه بصفات الإمكان ولا ينزهه عن العيوب والنقصان بل يثبت له الجهل والكم والكيف والحدود والقرانات والأوضاع والاتصال والانفصال والحركة والسكون وسائر صفات الإمكان وهو أيضاً لا يأتمر بما يأمر ولا ينتهي عما ينهى فإن كان الثاني فيجب تكذيبه ولو أتى من خوارق العادات ما لا يحصي عدده إلا الله ويجب الحكم بأنها سحر وشعبذة ومخاريق وحيل وتمويهات من استعمالات علم السيميا والليميا والريميا والهيميا لأن ادعاءه دليل بطلانه ووصفه للرب دليل كذبه ، ثم عدم انتهائه وعدم عمله بما في شريعته دليل عدم الوثوق به فهذا لا شك أنه كذّاب خبيث لا يجوز

(١) النساء ١٤١ .





الالتفات إليه ولا التعويل عليه ولا الالتفات إلى كلامه ولا الاعتماد على شيء من مرامه ولا يلزم أن يكون جامعاً لجميع الصفات التي ذكرناها في الوجه الثاني بل إذا كان فيه خصلة واحدة تكفي في وجوب التجنب عنه والإعراض منه وعدم الالتفات إليه لأن دعواه فيها دلالة مستقله على إبطاله ، فان كان من القسم الأول فلا يكفي وجود تلك الصفات الحقة والسمات الحسنة في تصديق دعوى نبوته ورسالته بل لا بد مع ذلك من امتحانه واختباره باقتراح معجزة والإتيان بخرق عادة ليعلم أنه من عند الله وإن الله ﷻ هو الذي بعثه إذ ليس في أخلاقه وآدابه وتوصيفه لله شيء ينافي نبوته . فوجب الاختبار بالآيات البينات والدلالات الظاهرات ومطالبته خرق العادات وإن عظم وجل لأنه لا يأتي به من نفسه بل إنما هو بقوة يعطيها إياه ربه بل هو الفاعل ﷻ ولا يعجزه شيء من الإمكان وإن عظم وجلّ وصعب ، فإذا اقترحوا منه خرق عادة والإتيان بمعجزة فأتى به بلا حيلة ولا علاج ولا تفكر ولا تدبير ولا استمهال بل أتى به حين ما أرادوا منه واقترحوا عليه. ثم قارنه بالتحدي فلا شك ولا ريب أن ذلك من عند الله وأن من أتى به هو نبي الله لأن الله ﷻ لا يصدق كاذباً ولا يغري بالباطل لأنه إذا لم يكن من عند الله ولم يكن هناك شيء يدل على بطلانه فكان الله ﷻ مغرياً بالباطل وجاعلاً خلقه مهملاً وموقعاً لهم في الحيرة وذلك لا يجوز على الله ﷻ . وإن قلنا أن احتمال السحر يكفي في الردع قلنا ما المميز إذن لأن هذا الاحتمال يجري على كل حال فيلزم أن يكون الله ﷻ قد جعل خلقه في الحيرة والضلالة ؟ فإذا ادعى النبوة وأتى بخارق العادة وقارنه بالتحدي ولم يمكن لأحد معارضته فيجب أن يقطع ويحكم بأن خارق العادة هو نبي الله يقيناً بلا شك ولا شبهة، وأن الذي أتى به من خرق العادة ليس بسحر ولا خيانة .

خذ هذه القاعدة الكلية وكن لله شاكراً وإلى الحق سالكاً إذا كنت له طالباً ، فقد ذكرت لك في هذا المختصر أسهل الطرق وأجلاها وأوضحها في إثبات نبوة محمد ﷺ فلو أنصفت وألقيت السمع وأنت شهيد لا تحتاج بعد ذلك إلى شيء أبداً في هذا المقام فافهم ما ألقينا إليك والله خليفتي عليك .

قال سلمه الله : لما رأى والدي مني الإصغاء إلى ذلك الحبر والاستماع من ذلك



المعلم صاح عليّ بأعلى صوته : كأنك جننت يا ولدي أتترك الإسلام والمسلمين وتركن إلى هؤلاء الكفرة الملاعين ؟

قلت :يا أبتاه أرشدني أرشدك الله فأخذ بيدي وجاء إلى جماعة من علماء المسلمين فكأني قد لقيتهم مجتمعين في المكان متظاهري الأبدان متفرقين في القلوب والأذهان وكأني قد سألت كلاً منهم عن غيره وإذا كل منهم يذكر بطلان الجميع بصحة ما هو عليه فبعضهم من أوصاني أن لا تجعل واسطة إلا محمدا وصحبه وبعضهم من قال لا تجعل إلا محمداً وآله.

فوقفت عند ذلك ثم كأني سألتهم أجمع : هل يرضى ربي بتقليدي بأحدكم كائنا من كان في الأصول والفروع مطلقاً أم لا ؟ أجابوني لا يرضيه ذلك لأن الحق واحد وقد اختلفنا فيه وكل منا يدّعي بل يجب عليك وعلى أمثالك الفحص عن الفرقة الناجية منا لتلزمها عن بصيرة ويقين فهناك يقبل منك ما تفعل وتقول وأنت عند بارئك إنشاء الله مقبول .

اختلاف فرق المسلمين

أقول: المراد بالوالد والد التربية والعادة لأنه لا يزايله وما ارتفع عنه لأنه لا يرتفع إلا عند التثبت والاطمئنان وحيث لم يحصل له ذلك صاح به ليرجعه إلى عادته الأولية وإلى ما نشأ فيه وتربى من الملة الإسلامية والفرقة المحقة الاثنى عشرية ومن هذه الجهة صاح به ليردعه عن تلك الفرق ولما كان هو أب التربية استرشده منه لما استرشده فأتى به وأرشده إلى الملة الإسلامية وحيث أن الملة يحفظها علماؤها ويبينها حملتها أتى به إلى علماء الإسلام ولما كان أمة محمد ﷺ افترقت بثلاثة وسبعين فرقة فرقة واحدة منهم ناجية والباقي كلهم في النار وإلى النار فعلى ذلك يكون ظاهرهم مجتمع يجمعهم الإسلام وعقائدهم مختلفة كل يذهب إلى جهة غير جهة الأخرى ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[1] .

وإن الموقن لا يختلف ولا يتعدى عن الحق .

ثم لما دخل عليهم وسألهم كل منهم دعاه إلى ما عنده لأن ما قصدهم بهذا

(١) الحشر ١٤ .



الاختلاف رضى الله ﷻ وإنما قصدهم الغلبة والإكثار كما قال ﷻ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[1] . فماتت عقولهم وأرواحهم وقبروا في مقابر طبائعهم وأشباحهم ﴿وَ إذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[2] . فمن هذه الجهة طلبا للكثرة الصورية والغلبة الظاهرية دعى كل منهم إلى نفسه وأراد أن يدخله في طريقته ولكن غلبهم السيد لما هو عليه من تسديد الله وتوفيقه لأنه طلب الحق غير معاند فألهمه الله ووفقه بأن قال لهم (هل يرضى ربي عني بتقليدي أحدكم). فإن التقليد في أصول الدين لا يجوز إجماعا من المسلمين إلا من بعض الشاذ الذي لا يعبأ بقوله ولا يلتفت إلى خلافه ولا يحتاج إلى ذكر برهان ولا شرح حجة وبيان لأن الوقت أضيق من ذلك والمسألة أظهر من أن تحتاج إلى دليل فهي الحمد لله واضحة السبيل.

فإذا وجب الاجتهاد والاستيضاح والاستبصار وبذل المجهود لطلب ما يتوجه به إلى الحق المعبود ألجمهم بلجام وأخرسهم عن الكلام وتمكن من الفحص وأتى -سلّمه الله تعالى- لطلب البحث ونحن نبين له إنشاء الله تعالى ما هو الحق من هذه الفرق وأرشده إلى الفرقة الناجية فلا يبالي بعد ذلك عن خروج من خرج ومروق من مرق .

النبي ﷺ على سنة الأنبياء وأمته كذلك

فأقول والله المستعان وعليه التكلان : أنه بعدما ثبت لك بالبينة والبرهان أن محمداً ﷺ هو النبي الحق المبعوث على الجن والإنس وغيرهما من ساير الأكوان وإن من أعظم معجزاته القرآن وأنه حق من الله الملك الديان والله سبحانه ذكر في كتابه الكريم أن محمدا ﷺ نذير مبعوث على جميع العالمين نقول أن أمته تفرقت وحملة شريعته اختلفت كما كان دأب الأنبياء عليهم السلام عند ارتحالهم من الدنيا واختلاف أممهم على أوصيائهم وتفرقهم .

(١) التكاثر ١ - ٢ .
(٢) المنافقون ٤ .



فإن اليهود افترقت إحدى وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية وهي التي اتبعت وصيه يوشع بن نون .

والنصارى افترقت اثنين وسبعين فرقة فرقة منها ناجية وهي التي اتبعت وصيه وخليفته شمعون الصفا .

وأمة محمد ﷺ أيضاً تفرقت واختلفت وافترقت ثلاثة وسبعون فرقة فرقة منها ناجية والباقون في النار ولما قال الله سبحانه خطاباً لنبيه ﷺ ﴿ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾[1] وكل نبي صاحب شريعة له وصي ، فيجب أن يكون له وصي ، وقد قال أيضاً خطاباً له ﷺ ﴿ما يُقالُ لَكَ إلاَّ ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾[2] .

وقال أيضاً ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[3] .

وبالجملة : فالمستفاد من الآيات أن محمداً ﷺ كان على طريقة الرسل من قبله وإن كانت شريعته ناسخة لشرائعهم ، ولكن الكلّيات التي هي مناط النبوة والشريعة التي جرى عليها كل نبي ورسول كان يراعيها وإلاّ كان بدعاً من الرسل .

النبي ﷺ لا بد له من وصي

والأنبياء والرسل وأولوا الشرائع نصبوا لهم أوصياء حين وفاتهم وانتقالهم من الدنيا ، فيجب أن يكون محمداً ﷺ له وصي ينصبه بنص منه الذي هو نص من الله سبحانه لأن الله قال في حقه ﴿وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى ﴾[4] .

فعلمنا انه إذا نص على احد بالوصية لا يكون ذلك إلاّ بنص من الله سبحانه وإلا قد نطق عن الهوى أحياناً ولم يكن كل كلامه وحياً يوحى ، ولقد نفاه الله سبحانه وحصر كلامه بالوحي . ثم كيف يمكن أن يدع رسول الله ﷺ أمته مهملين بلا وصي مع ما وصفه الله سبحانه بقوله تعالى ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾[5] .

(١) الأحقاف ٩ .
(٢) فصلت ٤٣ .
(٣) الشورى ١٣ .
(٤) النجم .
(٥) التوبة ١٢٨ .





وهل يكون من الرأفة والرحمة أن يدع الخلق في حيرة شديدة يكلهم إلى اختيارهم حتى يختاروا الرئيس على أنفسهم من غير نص من الله ولا تعيين من رسول الله ﷺ والله سبحانه يقول ﴿وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1] . حتى يعملوا بآرائهم ويتبّعوا أهواءهم ليختلفوا في الدين وليذهبوا إلى الشك والظن والتخمين مع تمكنه من هدايتهم وجمعهم على الحق والهدى ونصب دليل واضح وعلم لائح .

ولا ريب أن هذا ليس شأن الرؤوف العطوف بالمؤمنين ولا شأن من هو على خلق عظيم ، بل ولا شأن من هو منسوب إلى الله رب العالمين ، لأن الله سبحانه يقول ﴿وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[2] .

فبين أن ما عند الله ليس فيه اختلاف ، فالذي جعل في الخلق اختلافاً حيث وكلهم إلى آرائهم وميولات أنفسهم ليس من الله سبحانه. فحاشا رسول الله ﷺ عن ذلك ، لأن الله سبحانه قرنه بنفسه وجعل طاعته طاعته ومعصيته معصيته ثم وصفه بما لم يصف به أحداً من الفضيلة وقال ﴿وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3] . وصاحب الخلق العظيم لا يكل الخلق في الدين على شهوة أنفسهم وميل إرادتهم لان اتفاق الكل على شيء واحد لو لم يكن راجعاً إلى قاهر واحد يقهرهم على شيء واحد محال ، وهل رأيت في كل الدهر اتفاق الجميع على واحد؟ وأما ضروريات الدين فذلك ما قهرهم عليه الرسول الأمين .

وأما ما ينسبون إلى رسول الله ﷺ من قوله ﷺ: (لا تجتمع أمتي على ضلال). فإن كان المراد منها جميع الأمة بحيث لا يشذ منهم أحد بحال من الأحوال فذلك ما اتفق فيما نحن فيه ، وإن كان ما يصدق عليه الأمة ولو بعض منهم كيف يجتمع هذا القول منه ﷺ مع قوله المتفق على صدوره منه وهو قوله ﷺ (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار)[4] .

---

(١) القصص ٦٨.
(٢) النساء ٨٢ .
(٣) القلم ٤ .
(٤) الصراط المستقيم ج ٢ ص ٩٦ .



وبالجملة : فإهمال النبي رعاياه وعدم نصب وصي وولي يقوم مقامه ويظهر شريعته وأحكامه ليس فعل من هو منسوب إلى الله الحكيم ، ويجل عن ذلك نبينا ﷺ الذي هو على خلق عظيم .

فوجب أن ينصب وصياً يقوم مقامه ويظهر أحكامه وينشر أعلامه ويأخذ عنه جميع الشرائع والأحكام ويتربى لديه في جميع الليالي والأيام وكل الشهور والأعوام.

من هو الوصي

فإذا ثبت أنه يجب على النبي نصب الوصي فيجب أن ننظر في أنه من هو ومن يكون له قابلية لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم ؟.

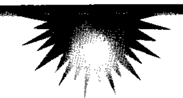
فنقول : إنه ما ادعي لأحد من الأمة أن يكون منصوصاً بالوصية غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأما القائلون بأنه الخليفة الرابع ما ادّعوا في سائر الخلفاء أنهم منصوصون بالخصوص عن النبي ﷺ بل يثبتون خلافة الأول بالإجماع وخلافة الثاني بنص الأول عليه عند موته ، وخلافة الثالث بالشورى التي أسسها الثاني . وما أدري الإجماع الذي مستندهم في خلافة الأول ما مستنده وما دليله ؟

فإن كان زعمهم أن النبي ﷺ قال (لا تجتمع أمتي على خطأ) فعلى فرض صحة هذا القول يجب أن يكون إجماع جميع الأمة بحيث لا يشذ منهم شاذ ولا نادر ومتى وقع هذا الإجماع للأول ؟ لأن عند موت النبي ﷺ ما حضرت السقيفة إلا أناس معدودون ، ولو فرضنا اتفاق جميع أهل المدينة فأين أهل مكّة والمسلمون الذين بين الحرمين وأهل الطائف وأهل اليمن وسائر المسلمين المنتشرين في الأقطار ؟ ومتى تحقق هذا الإجماع من جميع الأمة ؟ وهذا لا شك فيه ولا ريب يعتريه.

وأما اتفاقهم فيما بعد ذلك فممنوع وعلى مدّعيه البيان ، وكذلك اتفاق ما عدا الحاضرين في السقيفة ، بل اتفاق كل من في السقيفة ، فإن إنكار سعد بن عبادة معروف لا ينكر معلوم لا يستر .

وأما اتفاق بعض الأمة فيناقضه قول النبي ﷺ (ستفترق أمتي.... إلى قوله : فرقة ناجية والباقون في النار). وذلك معلوم كالشمس في رابعة النهار.





وإن زعموا أن أكثر الأمة أجمعوا على الأول فإن الله تعالى ذم الكثرة ومدح القلة وقال تعالى ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾[1] ﴿وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[2] ﴿وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الإِنْسِ﴾[3] ﴿وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[4] ... وأمثالها من الآيات التي فيها ذم الكثرة .

فعلى هذا فأي اعتبار في كثرة المبايعين للأول بلا دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ؟. والكثرة مذمومة بنص القرآن. وإن زعموا أن خلافة الأول استنبطوها من أمر النبي ﷺ بالصلاة خلفه نقول لو صحت هذه الرواية وسلمتها الأمة لا يدل على خلافته لما عندهم من جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر . فلو أن النبي ﷺ أمر بالصلاة خلف أبي بكر على ما يزعمون فقد صلى بزعمهم خلف عبد الرحمن بن عوف فهلاّ اتخذوه خليفة دون الأول وقلّدوه أمر الأمة .

وبالجملة : فلا حجة لهم في إثبات خلافته ولا برهان فخلافته إنما كانت بلا هدى ولا علم ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل الناس بغير علم ، فإذا بطل أساس الأول فأي أثر يترتب على نصه على الثاني إذ لم يثبت أمره من الله ولا من رسوله حتى ينص فيه على غيره (بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد مماته)[5] فكانت خلافة الثاني بناء على غير أساس محكم وهو منهدم البنيان مضمحل الأركان .

فإذا لم تثبت خلافته بعدم إثبات خلافة الناس عليه فالشورى التي أسسها فجعلها في ستة أي اعتبار لها وأي اعتماد عليها فإنها بناء على بناء على غير أساس وإنما دعاهم إلى ذلك الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .

وأما مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فقد ذكرنا أنه ما ادعي في حق أحد النص الخاص من الرسول ﷺ سواه لأنا قد بينا سابقا أنه تجب الوصية على النبي ﷺ ويجب أن يوصي إلى شخص خاص ولم يدّعى إلا في حق هذا الشخص الرّباني والنور الشعشعاني والبشر الثاني .بل نقول : الوصية متعينة إليه ولا يجوز النص على غيره مع وجوده لأن

---

(١) العنكبوت ٦٣ .
(٢) الأنعام ٣٧ .
(٣) الأعراف ١٧٩
(٤) البقرة ٢٤٣ .
(٥) نهج البلاغة ٤٨ .





الله سبحانه وتعالى جعله نفس النبي ﷺ ولا يعقل شيء أقرب إلى شيء من نفسه، وحيث أن الاتحاد من جميع الجهات متعذر لأن محمداً ﷺ وعلياً اثنان .

ويجب أن يكون الاتحاد في غير الاثنينية من جميع الكمالات وجميع الأحوال والأفعال والإضافات ومعالي الدرجات إلاّ ما استثني من خصائصه ﷺ.

فإذا كان علي أمير المؤمنين عليه السلام نفس النبي وأقرب الخلق إليه في جميع الكمالات والصفات الحسنة فأنّى يعدل به عن نفسه وعن أقرب الخلق إليه وأشبههم به وأولاهم عليه وأطوعهم إلى الانقياد إليه وأعلمهم بالأحكام وأقضاهم في الحلال والحرام كل ذلك باتفاق من الفريقين. فلو عدل عنه إلى غيره وأوصى إلى غيره كان مخالفاً للحكمة ومرجحاً للمرجوح ومقدماً للمفضول وذلك محال على الحكيم الذي هو على خلق عظيم .

وأيضاً نقول: أن رسول الله ﷺ آخاه والأخوة تنبئ عن المساواة كما هو صريح آية ﴿أَنْفُسَنا﴾[1] فالعدول عن المساوي إلى غيره مما هو دون رتبته في مقام النيابة والوصاية مخالفة للحكمة وهو محال على الحكيم الذي هو على خلق عظيم .

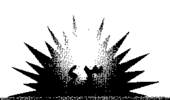
وأيضاً قد نص الله ﷻ على طهارته عن الذنوب وعصمته من سائر العيوب بل طهّره عن كل رجس ودنس وخبث في ظاهره وباطنه وسره وعلانيته بقوله تعالى ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2] ولا شك أن أمير المؤمنين عليه السلام داخل في هذه الآية بالإجماع وسوق الآية لأن قبلها كان الخطاب لنساء النبي ﷺ وكان الخطاب بالضمير المؤنث ثم عدل عنهن وقال ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ والمخاطب فيه الذكور وهم أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام وفاطمة عليها السلام دخلت فيهم تغليباً إجماعاً .

وبالجملة: قد اتفق المسلمون على أن هؤلاء الأربعة هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً والطهارة عامة غير مختصة فتشمل ظاهرهم

---

(١) آل عمران ٦١ .

(٢) الأحزاب ٣٣ .





وباطنهم فهم المطهّرون من درن الذنوب مطلقاً صغيرها وكبيرها ومن النجاسات الظاهرة في أجسامهم وأجسادهم .

فالعدول عن هذا الطيب الطاهر بالوصية إلى غيره مخالفة للحكمة وهي محال على رسول الله ﷺ المبعوث بالرأفة والرحمة .

وأيضاً فإن أمير المؤمنين عليه السلام قد جمع من محامد الصفات وخوارق العادات والتصّرف في الكائنات والتدبير في الموجودات واستسلام الأشياء له من الذوات والصفات ما اشتبهت فيه الأوهام وتوهمت الأحلام وادعوا في حقه الألوهية وغلوا وقالوا أنه هو الله .

ومنهم من قال أن الله فوض إليه الأمور والتدابير.

ومنهم من قال أنه-سبحانه وتعالى-جعله واسطة للفيوضات كلها وأنه باب الله إلى الخلق في جميع الإفاضات في التكوينيات والتشريعيات وباب الخلق إلى الله في الطلبات والمسألات وهو الواقف على التطنجين والسر في العالمين والنور الزاهر في المغربين والمشرقين ولم تحصل هذه العقائد فيه إلا لما ظهر منه عليه السلام من الكرامات وخوارق العادات وانفعال الأشياء له ما لم يحصل لغيره ، وقد قال ابن أبي الحديد في حقه عليه السلام:

تقّيلت أفعال الربوبية التي
عذرت بها من شك أنك مربوب

فالعدول عنه مع هذه الكمالات وعجائب الأمور والحالات مخالفة للحكمة وهي محال على الحكيم الذي هو على خلق عظيم .

وهل يساوى أو يرجح من يشك في إيمانه وكفره وعدالته وفسقه على من يشك في ربوبيته وعبوديته ؟

لا والله لا يخفى ذلك على من له أدنى روية ومعرفة فكيف بمن عنده علم غيوب الأشياء وحقائقها ﴿وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾[1] وفصل الخطاب لا يكون ذلك أبداً .

(١) الرعد ٤٣ .



ولا يفعله رسول الله ﷺ أما سمعت الله تعالى بعد أن نصّ على أن أمير المؤمنين عليه السلام نفس الرسول في الآية ﴿أَنْفُسَنا﴾ قال سبحانه ﴿ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾[1] ولم يقل:(عنه) مع أنه أخصر. وإنما المراد نفسه التي هو أمير المؤمنين عليه السلام .

فالإعراض عن أمير المؤمنين عليه السلام هو التخلف عن رسول الله ﷺ والتخلف عن رسول الله ﷺ هو المشاقّة معه وهو قوله تعالى ﴿وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً﴾[2] .

والمؤمنون هم القليلون الذين أشار إليهم بقوله ﴿ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[3] ﴿وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[4] ﴿وَ قَلِيلٌ ما هُمْ﴾[5] ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾[6] .

والأكثرون هم الكافرون فان الله تعالى يقول ﴿وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ﴾[7] ﴿وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾[8] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[9] ﴿وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[10] .

فثبت بالبرهان الواضح أنه يجب على رسول الله ﷺ أن لا يدع الخلق مهملين بل ينصب لهم وصياً حقيقاً بالرئاسة عالماً بالسياسة جامعاً لجوامع الكمالات آتياً بخوارق العادات والآيات ويجري فيهم جريان نفسه في جميع البريات ولا يجعلهم مهملي الناصية ليميلوا إلى ما عندهم من الشهوات ويوقعوا الاختلافات ويستحقوا غضب باريء السموات.

وإنه يجب عليه ﷺ أن لا ينصب وصياً إلا أمير المؤمنين عليه السلام لأنه نفسه فلا يكون شيئ أقرب إلى شيء من نفسه. وأنه مطّهر من الذنوب معصوم من العيوب

---

(١) التوبة ١٢٠ .
(٢) النساء ١١٥.
(٣) هود ٤٠ .
(٤) سبأ ١٣ .
(٥) ص ٢٤ .
(٦) البقرة ٢٤٩ .
(٧) النحل ٩٣ .
(٨) يونس ٦٠ .
(٩) النحل ٧٥ .
(١٠) المائدة ١٠٣ .



محفوظ بعناية علاّم الغيوب قد تولى الله عصمته وطهارته وأذهب عنه الرجس وطهّره تطهيراً فلا يجوز أن يوصل إليه غيره إذ لا يصل أحد إليه في كمال من الكمالات ولا في شيء من محاسن الصفات ومعالي الدرجات. فلو اختار عليه غيره لم يكن بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً وقد وصفه الله كذلك وحاشا أن يخلف وصف الله ويخلف وعد الله.

فثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الوصي والخليفة والمنصوص عليه من الله بالخصوص. وحديث (غدير خم) يدل على ذلك أكبر دلالة ويشهد أعظم شهادة وذلك معلوم لمن راعى الإنصاف وجانب الاعتساف ﴿ وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1] .

فيما ذكرنا ثبتت خلافة أمير المؤمنين ووصايته بلا فصل وبطل خلافة من تقدّمه إذ لم يقم عليها برهان ولا دليل بل البرهان على خلافه واضح السبيل .

وجوب تعدد الأوصياء ووجوب كونهم اثنى عشر

وإذا ثبت ذلك نقول : أنه لما اقتضت الحكمة الإلهية على ارتحال أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الدنيا وانتقاله إلى الدار الآخرة واستمرار ظهوره في هذه الدنيا باستمرارها لمصالح خفية لم نعرف أكثرها والذي نعرفها لا يسع المقام ذكره ومن جملتها عدم توهم الناس فيه الغلو لأنه مع قلة مكثه في الدنيا وظهور كثرة المعاجز وخوارق العادات غلت الناس فيه وتوهموا فيه الألوهية فما ظنك لو طال مكثه في الدنيا استمر باستمرارها فكانت الشبهة أعظم فيكون سبب الظلالة بعدما كان العلة للهداية.

فوجب ارتحاله عن هذه الدنيا لئلا تعم على الناس البلوى وإذا ارتحل وجب أن يكون له وصي يقوم مقامه. ووجب أن تتعدد الأوصياء.

فإذا وجب تعدد الأوصياء لا بد أن يظهروا بأشرف الأعداد وأكملها وأعلاها وأسناها لأن الأوصياء يجب أن يكونوا أشرف الخلق وأفضلهم في ذواتهم بأن يكونوا مبدأ الوجود والصادر الأول والمخلوق الأول وأن لا يسبقهم ممكن من الممكنات

(١) النور ٤٠.



وحادث من الحوادث وفي صفاتهم بأن يكونوا أعلم الخلق وأقدر الخلق وإرادتهم في الموجودات أنفذ من إرادة كل شيء وأن يكونوا معصومين مطهرين طيبين طاهرين وأن يكون عددهم أشرف الأعداد وأتمها وأكملها والعدد ثلاثة أقسام: عدد تام وعدد زائد وعدد ناقص.

أما العدد الناقص فلا يجوز أن يظهروا به لمكان النقصان ولا يصح النقص فيما ينسب إليه سبحانه إلا محض الإمكان.

وأما العدد التام فهو في كل مرتبة من مراتب الأعداد لأنه هو الذي كسوره الصحاح يساويه وهذا العدد يحصل في كل مرتبة من مراتب الأعداد إلا أن أشرفها وأكملها رتبة الآحاد لأنها المبدأ والعلة لسائر المراتب ووجب أن يكون العدد التام الذي هو في غاية الشرف العدد الحاصل في رتبة الآحاد ولا يكون ذلك إلا ستة ولما كانت الستة كمالها بالتثنية لحصول مقام الجامعية كما برهن في محله في علم الأعداد والأوفاق على حسب ما عند أهل الأسرار والسالكين في عالم الأنوار .فإذا تثنت الستة تكون اثنى عشر وهو العدد الزائد يعنى أول عدد زائد ظهر في الأعداد لأن كسوره الصحاح زائدة على أصله فاثنى عشر هو في نفسه عدد زائد وفيه كمال الزيادة لبيان أن حامل هذا العدد لطيفته زائدة على ذاته ومع ذلك هو مثنى العدد التام وفيه كمالان أحدهما كونه مثنى العدد التام والثاني كونه العدد الزائد فوجب أن يكون عدد الأوصياء أي أوصياء محمد ﷺ على عدد الاثنا عشر وهو حروف (لا إله إلا الله) وأن يكون تظهر فيهم الستة حتى يتبين أنها تثنت ليكون قد اجتمعت الكمالات كلها فيه ولم يدع في جميع الموجودات اجتماع الكمالات الإمكانية كلها في العدد الاثنا عشر إلا في الأئمة الاثنى عشر الذين هم أولاد رسول الله ﷺ ونفسه الشريفة وهم أقرب الخلق إليه وأدناهم إليه أولهم أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم القائم المنتظر عجل الله فرجه وروحي فداه وعليه وعلى آبائه السلام فإن هؤلاء سلام الله عليهم اثنا عشر ظهرت فيهم الستة فأسماؤهم الشريفة الغير المتكررة ستة وهي محمد وعلي والحسن والحسين وجعفر وموسى وهذه الستة تكررت إلى أن صارت اثنا عشر فيجب أن يكونوا هم الأوصياء إذ قد اجتمعت فيهم الكمالات ومحاسن الصفات



ومعالي الدرجات في الظاهر والباطن في ذواتهم وصفاتهم وأعدادهم ما لم يظهر في غيرهم ألا ترى أن الفرق المتباينة من فرق الإسلام مع تباين عقائدهم ومذاهبهم ممن يقول بإمامتهم ومن لا يقول كلهم متفقون على جلالة شأنهم ونبالة مكانهم وأنهم هم المعنيون من قوله تعالى﴿ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى ﴾[1] والقربى مؤنث أقرب وليس أقرب من الأولاد والنفس شيئاً .

وقد علمت أن أعداءهم السلاطين والحكام يريدون إظهار نقصهم حتى يكون لهم حجة في قتلهم وأذيتهم والناس أهل الدنيا عبيد الدراهم والدنانير همهم طلب الجاه والرياسة من أولئك الأشرار ولذا أعرضوا عنهم وتولوا وما دعاهم إلى هذا الإعراض إلا قرب السلطان وحب الجاه والرياسة ولا شيء يتقربون به إلى السلطان بأعظم وأكبر من إظهار النقص فيهم ومخالفتهم -سلام الله عليهم- ولو بالافتراء والكذب وأنت تعلم جرأة الناس على الكذب والافتراء وإلى الآن -بحمد الله وفضله- ما قدروا ولا تمكنوا من إثبات النقص فيهم ولو كذباً وافتراءاً وما ذلك لتورع الناس بل لأن ظهور كمالهم -سلام الله عليهم- وتجنبهم من النقائص وتنزههم عن رذائل الأخلاق وخبث الأعراق كان بحيث لو تكلم واحد بشيء من تلك النقائص زوراً وكذباً وافتراء كذبته جميع الأمة من الأخيار والأشرار وذلك دليل قاطع وبرهان ساطع على علو مقامهم في الكمال والجمال بحيث لم يقدر أعداؤهم النواصب الذين قتلوهم ونهبوهم وأسروهم على إظهار نقص من النقائص لهم بل هم -سلام الله عليهم- هم الأجلاء الأطهار عند جميع الخلائق وإن كانوا يكرهونهم لقلة المناسبة وعدم المشاكلة لأن الجنس إلى جنسه يميل والشيء إلى أشباهه أميل وهم الطيبون الطاهرون والخلق عصاة عاصون وأكثرهم ضالون مضلون فما ظنك مع ذلك أن يبايعوهم أو يسلموا لهم سلام الله عليهم حاشا لا يكون ذلك بل لا يحبهم إلا كل طيب الولادة مقرون بالسعادة .

بعض علل غياب الإمام المنتظر عجل الله فرجه

فإذا كان الأمر كذلك فيجب أن يكون هؤلاء الطيبون الطاهرون المعصومون

(١) الشورى ٢٣.



بنص القرآن هم أوصياء رسول الله ﷺ الأطهار وخلفاؤه الأخيار سلام الله عليهم ما دام الليل والنهار وقد غاب آخرهم وقائمهم واستتر عن عوالمهم لأن الجور قد غلب والظلم قد استولى والأصلاب والأرحام ما صفت عن النطف الخبيثة والطيبة ففي أصلاب طاهرة نطف خبيثة وفي أصلاب خبيثة نطف طيبة وهو قوله تعالى ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾[1] وقبل التصفية إذا ظهر بين الناس فأهل الباطل من جهة عدم المناسبة يرومون قتله فإن قتلهم عن آخرهم انقطع الفيض عن تلك النطف الطيبة التي في تلك الأصلاب الخبيثة وفيه لزوم الإلجاء أيضا وإن قتل الذين ليس في أصلابهم تلك النطف الطاهرة ويبقى الذين هي في أصلابهم فهم يقتلونه كأمر مولانا وسيدنا الحسين عليه السلام فإذا قُتِلَ عليه السلام ولم يكن من يقوم مقامه للزوم انحصار الأوصياء في اثنا عشر تسيخ الأرض بأهلها وتنهدم أركان السموات قبل أوانها وإذا دار الأمر بين فساد العالم وخرابه قبل مجيء أوانه وبين غيبته عليه السلام وانتفاع الناس به كانتفاعهم من الشمس إذا جللها السحاب ولا ريب أن الغيبة لحفظ الرعية أولى من الظهور وفسادها وهم سلام الله عليهم إنما أتوا للإصلاح دون الإفساد فلذا غاب الإمام الثاني عشر نسأل الله تعجيل ظهوره وأن يجعلنا من المستنيرين بنوره وينور قلوبنا بهدايته ويجنبنا معصيته وخلاف طاعته إنه رؤوف بالعباد في المبدأ والمعاد.

الحق مع أتباع آل محمد عليهم السلام

فبهذا البيان التام ثبت ووضح وظهر أن الذين دعوك إلى محمد وآله -صلوات الله وسلامه وتحياته عليه وآله الطيبين- هم المصيبون والذين دعوك إلى صحبه هم المخطئون فكن مع الآل وامتثل أمر الرسول المفضال (الحق مع علي وعلي مع الحق يدور معه حيثما دار)[2].

وقوله (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[3] والأولاد هم أهل البيت يقينا.

(١) الروم ١٩.
(٢) البحار ج ٣٠ ص ٣٥٢.
(٣) وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٨٨.





وقوله ﷺ (يابن عباس خالف من خالف عليا يابن عباس وال من والى عليا).

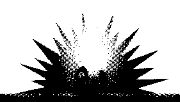
وبالجملة النبي ﷺ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ونفسه هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأولاده الذين هم جزؤه بنص القرآن ومن سنخه وعلى هيئته وشاكلته أولى بالمؤمنين من أنفسهم ودع الأجانب وخذ الأهل والأقارب إذا لم يخالفوا سنته ولم يتبعوا غير ملته فأولئك هم الأطهار الأبرار والخلفاء الأخيار والأوصياء المرضيون الأطهار عليهم السلام ما دام الليل والنهار- وهذا مختصر المقال في حقيقة النبي والآل -عليهم سلام الله الملك المتعال- فالزم هذه الطريقة الأنيقة فإنها توصلك إلى الحقيقة إن أردت الفحص والبصيرة .

إذا شئت أن تختر لنفسك مذهبا
ينجيك يوم الحشر من لهب النار
فدع عنك قول الشافعي ومالك
وأحمد والمروي عن كعب أحبار
ووال أناسا نقلهم وحديثهم
روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

قال: فأخذت بالترجيح وإذ وقع نظري على شيخ من أهل الصحب صوفي ذو هيبة ووقار وزهد وذكر وأفكار ويدّعي دعاوى عجيبة غريبة أقلقني عن وسادي ومنعني لذيذ رقادي لأني تارة أنظر إلى حاله وأقواله وأفعاله وتارة أتأمل في ابتداء مذهبه بمحشره وإمامه .

من هم الصوفية وكيف نشأوا

أقول :قوله: قد وقع نظري على شيخ من أهل الصحب صوفي هو كما قال فإن التصوف إنما كان منشأه وأصله منهم وشرطه أن يكون الشخص منهم ومن مذهبهم كما نص عليه أهل هذا الفن كما في النفحات وأمثاله من الكتب الموضوعة لأهل هذا الشأن .



ولكنك اعلم أولا أن الصوفي من هو ؟ فإن الناس قد اشتبه عليهم الأمر والتبس يرمون بالتصوف من هو بمعزل عنه بمراحل وينزهون عن التصوف من هو أصله ومحله وها أنا اخبرك الآن بالصوفي المردود الملعون الذي هو المنافق الخبيث المطعون ؛ وهو كل من يتكلم بالباطن بما يخالف ظاهر الشريعة ويزعم أن الظاهر سُلّم للباطن فإذا وصل إلى الباطن انتفى حكم الظاهر وهذا وإن لم يتفوه به كلهم وإنما يصرح به جماعة منهم الملقبون بالواصلية ولكن لسان حال الجميع عند مخالفة الظاهر مع الباطن والباطن مع الظاهر ينادي بذلك وقد قال بعض العلماء الفحول من أهل المعقول في مسألة خلود الكفار في النار أنه لم يقم دليل عقلي لا يحتمل الخلاف على خلود الكفار في النار فإن جميع الآيات والروايات الدالة على الخلود يحتمل المكث الطويل وأما الدليل العقلي فلم يقم على الخلود الدائم بل يطابق القدر المتيقن من الدليل النقلي من المكث الطويل ولم يبق في المقام إلا إجماع أهل الظاهر على خلود الكفار في العذاب وهو لا يقاوم ولا يعارض كشف أهل الباطن.

انظر كيف صرّح بأن الظاهر يخالف الباطن مع أنه ليس من الواصلية بحيث يترك الأعمال الظاهرة الشرعية بزعمه الوصول إلى الحقيقة.

وبالجملة : الصوفي :كل متكلم بباطن من بواطن الشريعة مخالفا لظاهر من ظواهرها ولا شك أن هذا باطل مردود لا سيما إذا اقترن بذلك المذهب السخيف والاعتقاد الباطل الفاسد الزائل.

والأصل في ذلك أن النبي ﷺ لما ظهر نوره وأشرق ظهوره خفيت جميع الكمالات واستترت والصوفية قد كانوا في زمان الجاهلية وقبله لكنهم مغمورون ومستضعفون لعدم رغبة أهل الجاهلية فيما عندهم لاشتغالهم بالملاذ الجسمانية وعدم التفاتهم إلى الحقائق الروحانية سواء كانت علّينية أو سجّينية ومن هذه الجهة كان ضوؤهم محمود وقولهم مردود وبعد ظهور النبي ﷺ أخفى نوره ظلمتهم فكانوا هائمين مخمودين إلى أن انتهت الدولة إلى بني العباس وهم لمّا خطئوا رأي بني أمية فيما فعلوا بالذرية الطاهرة من قتل ونهب وأسر وميل قلوب الناس عنهم وكراهتهم إياهم لأجل أفعالهم الردية وسوء سلوكهم بالذرية العلوية ولذا انقرضت دولتهم وانكسرت شوكتهم ومالت قلوب الناس عنهم .



فأرادوا تدبيراً آخر وحيلة أخرى في استيصال آل محمد -صلوات الله عليهم- وإطفاء نورهم وإخماد ذكرهم ولما وجدوا أن الناس محتاجون إليهم في العلوم الظاهرية والباطنية والأحكام التكليفية والعلوم السرية الحقيقية فما دام احتياج الناس إليهم في هذه العلوم لم يمكن صرف وجوه الناس عنهم ثم فكّروا وقدّروا فقتلوا كيف قدروا ثم نظروا وأبصروا وأدبروا واستكبروا فقالوا أن هذا الامر لا يتم إلا بأن نأتي بأناس في مقابلتهم في المقامين أي في الظاهر والباطن فإذا حصل للناس الصورة الظاهرية مع الرياسة والجاه يقنعون بهذه الصورة ولا يطلبون الحقائق والأمور الواقعية فبنوا رأيهم على ذلك فجعلوا في مقابلة الأمور الظاهرية من العلوم التكليفية الشرعية المجتهدين ، والعقائد الأصولية المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة والمجتهدين القائلين بالرأي والاستحسان والظن والتخمين إلى إن كثروا .

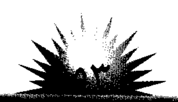
ولما رأوا في كثرتهم أن الآراء الفاسدة والأحكام المستندة إلى الاستحسانات والقياسات الباطلة بلغت حد الشيوع وفحشت إلى أن عاب على هذا الدين ساير الملل فاجتمعت آراؤهم -أي السلاطين والحكام- أن يحصروها في الأربعة كل ذلك لشهوة أنفسهم لا في كثرتهم دانوا الله بها ولا في تقليلهم طلبوا وجه الله والتقرب إلى الله بل كانوا يدورون مدار هوى أنفسهم أينما دارت. فلما أسسوا هذا البنيان وأحكموا أمر هذا الطغيان منعوا الناس في العلوم الظاهرية الرسمية الرجوع إلى آل محمد -صلى الله عليهم- وأمروهم بالرجوع إلى هؤلاء المجتهدين حتى أن من يريد أن يذهب إلى أحد أهل البيت عليهم السلام في مسألة من مسائل دينه كان يخاطر على نفسه وماله وعرضه وغير ذلك حتى تركهم أكثر الناس وأعرضوا عنهم -سلام الله عليهم- اكتفاء بأولئك المجتهدين والمتكلمين وهم جل مقصودهم وكل مطلوبهم مخالفة الأئمة الطاهرين عليهم السلام ولقد روي عن أبي حنيفة أنه قال لو علمت أن جعفر بن محمد عليه السلام يفتح عينيه بالسجود أو يغمضهما لكنت أقول بخلافه. فدأبهم الخلاف وديدنهم النفاق إلى أن صار الرشد عندنا في خلافهم .

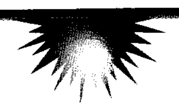
وأما في العلوم الباطنية والأسرار الغيبية فقد أمروا الناس بالرجوع إلى الصوفية ورقّوهم وأعلوا ذكرهم وبذلوا لهم الجاه وجعلوهم مطاعين فهم أظهروا بواطنهم

الخبيثة وموهوا على الناس بالرياضات الباطلة والمجاهدات الغير المشروعة وتسخير الأرواح والأفعال التي تكون سببا لاتصال الشياطين وساير الأبالسة ليخبروهم عن بعض المغيبات ويظهروا شبه بعض خوارق العادات فسحروا أعين الناس باستعمال العلوم الأربعة التي هي السيميا والريميا والهيميا والليميا وأظهروا الخدع والخيلاء وأظهروا للناس الزهد والورع وترك الدنيا والإعراض عنها كل ذلك رياء وسمعة ليقبلوا وجوه الناس إليهم ويعرضوا عن الحق وأهله تقربا إلى سلاطين الجور وحكام الباطل وهؤلاء ضررهم على الدين والإسلام والإيمان أعظم من ضرر هؤلاء الخلفاء والمجتهدين من أهل الاستحسانات والآراء لأن عيوبهم ظاهرة يعرفها كل أحد وعيوب هؤلاء مخفية باطنية ما يعرفها إلا نادرة الزمان وأوحدي العصر وهؤلاء كما ذكر جنابك أن لهم هيبة ووقارا وزهدا وذكرا وأفكارا ولكن كل ذلك صورية لا حقيقية ريائية لا إلهية هيبتهم عند طغام الناس وزهدهم مصيدة للخناس الذي يوسوس في صدور الناس وذكرهم لتسخير الشياطين وفكرهم لتحصيل الطرق التي يغوون بها جماعة من المؤمنين ودعاويهم كذب وغرور وأخبارهم افتراء وزور وهم الأفاك الأثيم الذين هم مناخ ركاب الشياطين وإليهم الإشارة بقوله تعالى ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ * تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ﴾[1] وهؤلاء يمزجون الصدق بالكذب ويخلطون الحق بالباطل لإظهار باطلهم والتمويه على بعض الضعفاء من أهل الحق. فرجعت الناس إليهم وهم كانوا يتتبعون كل مقام لأئمتنا عليهم السلام فيه كلام يقولون بخلافهم كما أنهم لما سمعوا أن أمير المؤمنين عليه السلام قال:(لو شئت لأوقرت سبعين جملا من تفسير باء بسم الله الرحمن الرحيم)[2] قال واحد منهم لو شئت لأوقرت سبعين جملا من ألف الحمد لله رب العالمين ومن هذه الجهة ورد عن أئمتنا -سلام الله عليهم- ذمهم والإنكار عليهم حتى قال عليه السلام (من ذكرت الصوفية عنده ولم ينكر عليهم بقلبه ولسانه كان كمن أعان يزيد بن معاوية على قتل الحسين عليه السلام).

(١) الشعراء ٢٢١ - ٢٢٣.

(٢) عوالي اللآلي ج ٤ ص ١٠٢ .





وقال في رواية أخرى (ألا من مال إليهم وأوّل كلماتهم فإنا منهم براء) قيل وإن كان المائل من محبيكم ؟ فنظر عليه السلام شبه المغضب وقال (من قال بحقوقنا لم يذهب إلى عقوقنا).

وهؤلاء أشّر خلق الله وأخبث عباد الله لا يغرنك زهدهم ولا ورعهم ولا ذكرهم ولا فكرهم فإنهم أعداء الدين وخلفاء الشياطين وخصماء رب العالمين كيف يرجى فيهم الخير وهو يأتم بإمام قائده الهوى وسائقه الدنيا وعاقبته خسارة الآخرة والأولى .

قال سلمه الله تعالى : ثم تفكرت في أهل الآل الذين هم كان أبي منهم وإذا بينهم القيل والقال وتغير الحال.

والحاصل: يا مولانا

وكــــل يـــدعـــي وصـــــلا بـلـيـلى

ولـيـــلى لا تـــقـــر لهـــم بـــذاكـــا

غير إذا ذهبت مني الفرصة تبين من بكى ممن تباكى وإني لخائف من إتيان حين إذاً فأتبين -والعياذ بالله- متباكيا لا باكي فأندم ولا ينفعني الندامة إذا ندمت ولا يفيد قول ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ ﴾[1] .

فيا مولانا لقد صرت في حيرة عظيمة ووقفت كوقوف البهيمة تارة أنظر إلى الحبر اليهودي المذكور سابقا وتارة إلى النصراني وتارة إلى الصوفي وأخرى إلى أهل الآل بأجمعهم مرة وإلى فرقهم أخرى ثم إلى أبي وآبائه لأنهم قد كانوا من واحدة مما ذكرت أخرى وربما يحصل لي بعض الميل إليهم ولكني أسمع قوله تعالى﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[2] الآية أقف عند ذلك حتى أني بهت وفترت عن العمل لأنه لم يبق له إذ ذاك محل لأن العامل على غير بصيرة كالساير على غير طريق لا يزيده كثرة السير إلا بعدا ومن يكون هذا حاله ما يكون تكليفه؟

(١) المؤمنون ٩٩- ١٠٠ .
(٢) الأعراف ١٧٢ - ١٧٣ .



إلى أن قال: وألتمس أيضا من جنابكم أن تثبت ما أنتم عليه وتنفي جميع ما عداه وأن يكون النفي والإثبات بأدلة عقلية يقبلها كل عاقل منصف ونقلية مأخوذة من الكتاب والسنة ليكون تذكرة لأولي الألباب مفيدا لجملة الأخوان والأصحاب وجزاك الله تعالى ألف خير شعر :

فديتك عجّل فالقلوب مريضة

وليس لها إلاك يا خير منيتي

الاختلاف على قسمين

أقول : الاختلاف الذي بين أهل الآل وما عندهم من القيل والقال وما رأيت فيهم من تغيير الأحوال فعلى قسمين قسم مما يتعلق بالفروع والأعمال وقسم يتعلق بالعقائد والأصول وما يتفرع على المبدأ والمآل .

أما القسم الأول فالأمر فيه هين لأن الأختلاف ما دامت شريعة التقية ثابتة لازم والقول الواحد مع اختلاف الموضوعات ما يمكن والاختلاف ما دام مزج النطفتين شريعة أسسها الله سبحانه وأحكم بنيانها الأئمة الهداة -سلام الله عليهم- ولذا قالوا عليهم السلام (نحن أوقعنا الخلاف بينكم) وقال عليه السلام خطابا لابن زرارة (راعيكم الذي استرعاه الله أمر غنمه أعلم بمصالح غنمه إن شاء فرق بينها لتسلم وإن شاء جمع بينها لتسلم)[1] .

وقال أيضا عليه السلام (إنا لا ندخلكم إلا فيما يصلحكم)[2] .

وبالجملة: فالاختلاف في فروع الدين وما يتعلق بأعمال الجوارح قبل اندكاك سد ذي القرنين الأول للحفظ من يأجوج ومأجوج الأمة ثابت حكم ثانوي من الله سبحانه لحفظ هذه الفرقة وإصلاح شأنهم ودفع المرض والخلل الساري فيهم من مزج تلك النطف ومن اختلاف المنافق والموافق والمنافي والمطابق كمعالجة الطبيب للمريض بأدوية مختلفة إذا اختلف المرض وقد شرحنا هذه المسئلة شرحا

(١) بحارالأنوار ج ٢ ص ٢٤٦ عن أبي عبدالله عليه السلام : (راعيكم الذي استرعاه الله خلقه و هو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها فإن شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها و خوف عدوها في آثار ما يأذن الله و يأتيها بالأمن من مأمنه و الفرج من عنده عليكم بالتسليم و الرد إلينا و انتظار أمرنا و أمركم و فرجنا و فرجكم).

(٢)الكافي ج ١ ص ٦٧ عن أبي عبدالله عليه السلام (إِنَّا وَ اللهِ لَا نُدْخِلُكُمْ إِلَّا فِيمَا يَسَعُكُمْ).



كافيا وافيا في غاية التهذيب لمن أراد الاستبصار من كل فقيه في رسالتنا الموضوعة لتسديد الإمام عليه السلام واختلاف الأحكام مع ذلك التأييد التام فمن أراد أن يحصل له منتهى المطلوب فلينظر إلى ذلك التحرير فإن ما فيه كفاية وإرشاد للمسترشدين عند الاختلاف .

وهذا النوع من الاختلاف أي الاختلاف في الفروع لا يوجب القيل والقال ولا تغيير الأحوال ولا سوء المقال ولا الخصومة والجدال وإنما فتوى كل واحد من المختلفين على حسب دليل انساق إليه وبرهان اتفق لديه ولذا ترى أصحابنا المجتهدين وفقهائنا المرضيين مع اختلاف آرائهم وتشتت فتاويهم كل واحد منهم يمّجد الآخر ويأمر بتقليده من غير نكير ولا خصومة ولا جدال ولا قطع ولا استيصال بل فيما بينهم كمال الموافقة والعطوفة وهذا معلوم ظاهر .

وأما الداء العظال ومحنة الرجال في اختلافهم في القسم الثاني أي الاختلاف في الأصول والعقائد فإن كثيرا من أصحابنا ادعوا الإجماع على أن المخطيء في العقائد غير معذور وأن الحق واحد لا يصلح أن يكون بين مختلفين بالإثبات والنفي وإنما جاز الاختلاف وصح في الفروع لخفاء أدلته وعسر الاطلاع على براهينه بخلاف الأصول وما يجب على الناس كافة بالدليل والبرهان والبصيرة والإيقان فإنه سبحانه أجل من أن يكلف عامة الناس على جهة البصيرة واليقين ثم يخفي طريق الوصول عليهم ويصعب أدلته عليهم وذلك عليه محال.

فوجب تسهيل الدليل لإيضاح السبيل فالاختلاف لا يسوغ فيما يريد الله الايتلاف وهو مع وضوح الدليل والمقّصر ليس بمعذور بخلاف القاصر فإنه معذور وهذا القول في الأصل الأول وإن كان صحيحا لكنه على العمل به مطلقا يوجب مفاسد كثيرة وإخراج فحول من العلماء الذين بهم أقيم الدين القويم وشيدت أركان هذا الدين عن هذا الدين ومن هذه الجهة تحيروا وتشوشوا واضطربوا وأنكر بعضهم بعضا وصدق بعضهم بعضا وصدق بعض المنكر وأنكر بعض المصدق وموه بعض على آخر وبان تمويه الآخر وصدق آخر المموه واشتبه على بعض أصل الموضوع وأنكر بعض بزعمه أن هذا الإنكار غير قادح وزعم

آخر أن هذا الإنكار قادح وتشوشت آرائهم واختلفت أهواؤهم وكثر بينهم القيل والقال إلى أن آل إلى تغيير الأحوال وسوء المقال ووقيعة بعضهم ببعض في كل حال وسكوت بعض الموجب للقدح والوقيعة في المآل.

علة الاختلاف

وبالجملة جرت فيهم سنة من كان قبلهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى أنهم لو سلكوا جحر ضب لسلكوه فإن استطعت معي صبرا سأنبئك به خبرا ولا ينبئك مثل خبير وها أنا أشرح لك أصل هذا الاختلاف وسره واختلاف الحق والباطل منها وإن كان يطول به زمام الكلام ولكن منفعته عامة ثابتة ممر الدهور والأعوام ولكن بشرط أن تعرني فهمك وتحضرني ذهنك وترفع عن نفسك الاستبعاد والتقليد وموافقة الآباء والأجداد بلا دليل سديد وانظر إلى ما تبيّن لك من الكتاب والسنة ومقتضى المذهب والملة حتى ترتفع عنك الشبهات وتظهر لديك الدقائق المخفيات فنقول والله الموفق للصواب:

اعلم أنه سبحانه وتعالى قال ﴿وَ ما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ﴾[1] وقال ﴿وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾[2] وقال ﴿ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ﴾[3] فحكم الله سبحانه وتعالى وإجراء فعله وأمره في التكوين والتشريع واحد وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾[4].

ألا ترى أنه لما أراد خلق الإنسان خلق نطفة ثم قوّاها فجعلها علقة ثم قوى العلقة فجعلها مضغة ثم قواها فجعلها عظاما ثم قوّى العظام لاكتسائها اللحم فلما تمت هذه الخلقة قواها بتقوية عالية فأولج فيها الروح ثم قواها إلى أن تحركت وصارت جنينا ثم قوى الجنين إلى أن أخرجه إلى هذه الدنيا فكان في بطن الأم يشرب دم الحيض من سرة أمه فلما خرج من البطن ودخل في هذه الدنيا تقوى من هذه الحالة إلى أن يشرب اللبن المريء من ثدي أمه فكان رضيعا ثم تقوى بحيث لا

(١) القمر ٥٠.
(٢) لقمان ٢٨.
(٣) الملك ٣ - ٤.
(٤) الروم ٥٤.



يهنيه اللبن ولا يغذيه ولا يكتفي به وبقي يأكل من ساير الأغذية بعد أن تترجم له أمه أو غيرها من ساير المربين والمربيات بمضغها في فمها فإذا سحقها الفم ونعمت باختلاط أجزاء الريق في الفم صلح غذاء للولد فكان فطيما ثم ترقى في النشوء والنماء وقوة المزاج إلى أن كان صبيا فكان مراهقا فكان بالغا في خمسة عشر سنة فكان تاما في ثلاثين وهو وقوف النماء في الطول فكان كاملا في أربعين سنة فهي حد تمام كمال في القوة والنشاط والإدراك والفهم.

فانظر الآن وقايس الحال ابتداء كونه نطفة إلى هذا المبلغ من تدرج الأحوال الجارية عليه فإن في حال كونه نطفة أو علقة لو كان له إدراك وتجرى عليه أحكام فإذا انتقلت من حالة العلقة إلى حالة المضغة هل تجري في حالة المضغة عليها أحكام النطفة والعلقة فتثبتها عليها لأنها كانت ثابتة من قبل أو تقول أن تلك الأحكام ثابتة في مقام العلقة وهي تكليفها وإذا تغيرت إلى مقام النطفة انقطعت عنه تلك الأحكام وجاءته أحكام أخر يجب على المضغة الديانة بها والإذعان لها والإعراض عما كان ثابتا في مقام العلقة وإن كانت هي عن الله لكنها في مقامها.

وكذلك ما يجري على الجنين في حالته من شرب دم الحيض عن السرة فهي حالة حقيقية لا يقوم مزاجه إلا به وأما عند خروجه إلى الدنيا فلا يجري عليه حكم الجنين فلو أنه جرى عليه حكم الجنين لفسد مزاجه واعتل فلا يقال أن الرضيع يجب عليه أن يشرب لبن الحيض لأنه كان يشربه حال كونه جنينا بحكم الاستصحاب وكذلك ما تزق له أمه بعد الفطام لا يقال أنه كان يشرب اللبن فيجب أن تثبت له تلك الحالة.

وبالجملة؛ فكل حالة ثابتة في محالها ففي حالة الضعف يجري عليها أحكامها وفي حالة القوة يجري عليها أحكامها والكل حكم الله سبحانه وإن كان الحكم الثاني أقوى من الحكم الأول لقوة الموضوع ولو كانت الأولى في المقام الثاني لم تكن الأولى بل كانت الثانية فكلما يجري في الحالة الأولى من العلوم والأطوار والأحكام كلها عن الله سبحانه وحاملها محمود ومحبوب لله تعالى له مقام عنده وما يجري في الحالة الثانية من العلوم والأطوار والأحكام أيضا من عند الله سبحانه يجب على الواقف في



هذا المقام الالتزام به وترك ما كان عنده سابقا في الحالة الأولى ألا ترى أنه في مقام المراهقة وما قبلها لا يجب عليه شيء من الأحكام التكليفية والآداب الإلهية بحال من الأحوال وبعد البلوغ إلى الخمسة عشر وجبت عليه الأحكام والتكاليف والتزم بالحلال والحرام فلا يسع أن يقول أنا كنا في وقت المراهقة ما علينا شيء من التكاليف وهل كنا معاشر الخلق كلنا على الباطل فنقف على حالتنا الأولى ولا نلتزم بشيء من أحكام هذه الحالة وإلا يلزم أن يكون الذين ماتوا على تلك الحالة على ضلال وفساد بل الكل من عند الله والعدول عن حالة إلى أخرى والتزام حكم الثانية وترك حكم الأولى أيضا من الله تعالى.

وبالجملة؛ فالموجودات تصل إلى مراتبها من الكمال في القوس الصعودي بالتدريج لأن الله سبحانه جعل العالم عالم الأسباب جعل الأسباب اقتضاءات فاقتضاء كل سبب يجري على مقتضاه إلى حين فإذا ارتفع السبب ارتفع مقتضاه المسبب لا أنه كان باطلا ولم يكن حقا ألا ترى أن الماء قبل بلوغه كرا له اقتضاء بالشرع وحكم الله فيه أنه ينجس بملاقاة النجاسة فإذا بلغ كرا لم ينجسه شيء إلا إذا تغّير أحد أوصافه من الطعم والريح واللون فهل يمكن أن يقال أن الحكم الأول على الماء نجاسته باقية بعد بلوغه كرا وأن يكون الحكم الأول باطلا وهذا شيء معلوم.

فالله سبحانه حيث أنه جعل العالم عالم الأسباب وجعل الأشياء متدّرجة الحصول متدرجة القوة متدرجة في العلم لإبانة وجه الحكمة وتعريفا للأشياء ظهور القدرة كما قال تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[1] وإن كان الله سبحانه قادرا على فعل ما يشاء كما يشاء فكل حالة في كل مقام تقتضي حكما من الأحكام وجريان أمر من الأمور التي لم تكن حاصلة عند عدم تلك الحالة فالحالتان من الله واقتضاءاتهما من الله والانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية من الله والانتقال من مقتضيات الأولى إلى مقتضيات الثانية من الله ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[2] فذي الحالة الثانية يحرم عليه إجراء

(١) الحج ٥

(٢) النساء ٧٨.





حكم الحالة الأولى وذي الحالة الأولى يحرم عليه إجراء حكم الحالة الثانية والكل عند الله محبوب وعملهم مرغوب وإن كانت الثانية أشرف وأقوى وهذا لا يقدح في الأولى لأن الثانية لن تصح أن تكون في مقام الأولى وإلا لم تكن هي الأولى فافهم هذا الكلام المكرر المردد بالفهم المسدد فإني إنما كررته ورددته للتفهيم .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن هذا الحكم الذي جرى في التكوين بعينه هو الذي جرى في التشريع حرفاً بحرف فإن رسول الله ﷺ لما بعث إلى الخلق في أول البعثة دعاهم إلى قول لا اله الا الله ومحمد رسول الله وأن كلما جاء به ﷺ حق لا شك فيه ولا ريب يعتريه واكتفى منهم بهذا الإجمال ولم يطلب منهم أكثر من ذلك.

ولما قوى الإسلام -في الجملة- وظهر الحلال والحرام أوجب عليهم بعض الواجبات اللازمة وحرّم عليهم بعض المحرّمات ، ولكن ما توّعد فيها توعيداً وما شدّد عليها بالقول الأكيد فمن ارتكب شيئاً من تلك المحّرمات لم يقم عليه حداً ولا تعزيراً.

وأنت إذا تتبعت في القرآن وجدت أن الآيات التي نزلت في مكة من الواجبات والمحرّمات ليس فيها من التوعيد والتشديد مثل الآيات التي نزلت في المدينة إلاّ الشرك بالله الذي بقوة أدلته قد ظهر أمره ورسخ في القلوب ذكره واستحق مرتكبه التوعيد والتهديد بخلاف سائر المحرّمات.

انظر الآن إلى الآيات التي نزلت في مكة كقوله تعالى ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً * وَ قَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً...﴾[1] إلى ان قال تعالى﴿وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً * وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلاً * وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً * وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً﴾[2] الآيات

وإذا تأملتها وجدت أنها محض بيان الأحكام وأنها هي الحرام وإن عاقبتها ليست محمودة.

(١) الإسراء ٢٢ - ٢٣ .
(٢) الإسراء ٣١- ٣٤.



وانظر الآن إلى الآيات التي نزلت في المدينة في هذه الأحكام قال تعالى في الزنى ﴿ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً * يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً ﴾[1].

وقال في قتل النفس﴿وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾[2].

وقال في آكل مال اليتيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[3].

انظر ما فيها من التهديد والتأكيد ولم يكن في الآيات التي نزلت في مكة في هذه الأحكام شيء من التهديد والتشديد والتوعيد.

وبالجملة : فأصحاب العصر الأول مع النبيﷺ ما كان فرضهم إلاّ الاعتقادات الإجمالية وما كانوا مكلّفين بالبحث عن دقائق عِلْم الله وقدرته ومعاني أسمائه وصفاته .وإذا حصل لهم الاعتقاد بأن الله ﷻ موجود وأنه كامل اكتفى منهم بذلك ولا يُسأل منهم أزيد من هذا الإجمال. وما كانوا يعرفون الولاية وما كانوا مكلّفين بها على التفصيل إلاّ على وجه الاجمال بأن كل ما جاءَ به محمد ﷺ حق من عند الله.

ثم لما قوى الإسلام وتشعشع نوره ورسخ في قلوب الخواص والعوام استأهلوا بقبول الولاية كلّفهم الله ﷻ بها ولعن تاركها وكفّره ودعا إليها بقوله (اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأهلك عدوه).

فقبل هذا الإظهار التام كان كفاهم الإيمان الإجمالي وما كانوا مكلّفين بهذا التفصيل.

والولاية لها مراتب ومقامات تفصّل في كل وقت إذا تأهل أهل ذلك الوقت للتفصيل. ألا ترى أن العباس بن عبد المطلب كان يتكلم بكلمات يستفاد منها الإزراء والإهانة بحق أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء والحسنين عليهم السلام ولم يقدح ذلك في

(١) الفرقان ٦٨ - ٦٩.
(٢) النساء ٩٣.
(٣) النساء ١٠.





إسلامه ولا في إيمانه لعدم ظهور فضائلهم ومقاماتهم وتفصيل مراتبهم مثلما ظهر في هذا الزمان ، فلو برزت منه تلك الكلمات في هذه الأوقات-لو فرض بقاؤه فيها- لكفرناه فيها وجعلناها قادحة في إيمانه وفي إسلامه.

وكذا لو قال القميّون في هذه الأوقات ما قالوا في تلك الأيام التي ما ظهرت تفاصيل مراتب الأئمة-سلام الله عليهم- فيها لصدّقنا كلام السيد المرتضى رحمه الله في الصدوق رحمه الله.

وبالجملة :كل زمان له أهل وله حكم يجري عليهم دون الزمان السابق في جزئيات التكاليف لا في كلّياتها،ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقاتل الناس ويحاربهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ومحمد رسول الله فإذا قالوها كَفَّ عنهم القتال.

وأما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكتف منهم بهذا المقدار بل قاتلهم وحاربهم حتى يقولوا: (علي ولي الله) وإن قالوا لا اله إلا الله محمد رسول الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا بيت الله.

فما كانوا عليه في زمان رسول صلى الله عليه وآله هو الحق من عند الله وما فعل أمير المؤمنين عليه السلام هو الحق أيضاً من عند الله.

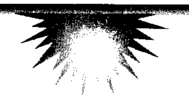
وهكذا ما اختلفت عليه الأصحاب باعتبار كل زمان من الأزمنة المتباعدة هو الحق من عند الله وذلك هو تكليفهم من الله تعالى لأن الله سبحانه قد يرضى منهم بالإجمال وقد لا يرضى إلا بالتفصيل.

فنحن عذرنا المفيد رحمه الله مع ما عليه من جلالة الشأن ونبالة المكان فيما أنكر من (الرجعة) ولا نعذره لو أنكرها في هذا الزمان الذي انتشرت فيه فضائل آل محمد عليهم السلام وتكثّرت أحاديثهم وظهرت .

وبالجملة:فعلماء كل وقت في كل عصر من الأعصار المتباعدة والمتقاربة عند ظهور الأمر وخفائه لهم حكم خاص يجري عليهم حكم زمانهم وإن كان الأمر في الزمان الآخر يكون الحكم بخلاف ذلك .

فاختلاف علماء الأصحاب إذا كان من هذا القبيل لا يضر أيضاً كنص القميين





(من قال أن القميين مقصّرون في حق الأئمة عليهم السلام فهو غال ومن قال أن النبي والإمام لا يسهو فهو غال) والغالي عندهم كافر ، فقد قال في الفقيه (إن الغلاة والمفوّضة-لعنهم الله-ينكرون سهو النبي والأئمة عليهم السلام). ولا ريب أن هذا الزمان من علمائهم وعوامهم كلهم ينكرون سهو النبي والأئمة والإسهاء أيضاً. ونحن نصّدق الصدوق بالنسبة إلى مقامه وزمانه وكثرة غلبة الجور وقلّة المؤمنين وقلّة نشر الأحاديث والالتفات إلى دقائقها وحقائقها ، ونكذبه ولا نجوز العمل بقوله ونفسد اعتقاد من يعتقد في هذا الزمان كما جاز أكل اللبن للرضيع وحرِّم على الكبير كما بيّنا سابقاً فافهم .

أركان الإيمان

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الإيمان لا يقوم إلا بأربعة أركان :

الركن الأول:الإقرار بالتوحيد وهو قول لا إله إلا الله مصّدقاً مسلِّماً .

والركن الثاني:الإقرار بالنبوة وهو قول محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

والركن الثالث:الإقرار بالولاية وهو قول أن علياً ولي الله والأئمة من ولده أولياء الله.

والركن الرابع:الشيعة وهم المشار إليهم في أحاديث الأئمة عليهم السلام وأخبارهم : بـ(أُوالي من والوا وأعادي من عادوا وأجانب من جانبوا ...) ، وما ورد في معنى النواصب (أنهم ينصبون العداوة لشيعتنا).

وهذه أبواب أربعة لا يصلح آخرها إلا بأولها ولا أولها إلا بآخرها ضلَّ أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيدا. فلا يتم التوحيد إلا بالنبوة فلو أقرَّ بالتوحيد والتفريد بجميع مراتبه ولم يقر بالنبوة مع أن التوحيد أشرف من النبوة بل ليس بينهما من نسبة فلا يقبل توحيده ولا يغنيه عن نار جهنم وهو من الخاسرين .

ومن أقرَّ بالنبوّة ولم يقّر بالولاية لم ينفعه إيمانه شيئاً ولا إقراره أبداً وهو من أصحاب السعير ومقامه في النار أسفل من مقام منكر النبوّة مع أن النبوة أشرف من الولاية.





وكذلك من أقرّ بالتوحيد والنبوّة والولاية ولم يقر بالشيعة فلا ينفعه إيمانه بالتوحيد والنبوّة والولاية ويكون أخسر مقاماً وهو في أسفل درك من الجحيم كما كان منكر الولاية ومنكر التوحيد والنبوّة كذلك.

إحقاق الحق إزهاق الباطل :

اعلم : أن الله لا يقبل إلا العمل الخالص والاعتقاد الصافي المطّهر من الريب والغش لا الاعتقاد باللسان المخالف للجنان. فإذا ادّعى مدّع وجعل نفسه من أهل الحق يجب على الله -تعالى- أن يبيّن باطنه ويظهر ما استجن في ضميره ويبين المحق من المبطل والمصلح من المفسد وهو قوله تعالى ﴿ألم * أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾(1) أي اجترحوا السيئات في بواطنهم وضمائرهم وأضمروا النفاق في سرائرهم أن يسبقوا الله -سبحانه- ويعدّوا أنفسهم من المؤمنين وهم من الكافرين المنافقين في الباطن والحقيقة .

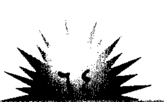
وقال أيضاً ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(2) .

وقال أيضا سبحانه تعالى ﴿وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾(3) .

وقال تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ﴾(4) إلى ان قال تعالى ﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ﴾(5) .

---

(1) العنكبوت ١ - ٤ .
(2) البقرة ٢١٤ .
(3) آل عمران ١٤٠ - ١٤٢ .
(4) محمد ٢٩ .
(5) محمد ٣١ .



فعرفت من هذه الآيات البيّنات أن الله -تعالى- بمقتضى حكمته البالغة ومشيئته القاهرة لا يدع الناس على ظواهر إقرارهم بل يسبب أسباباً لإخراج بواطنهم وأسرارهم وقد قال الله -تعالى- ﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ * وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾[3] .

وقال تعالى﴿وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[4] .

وأمثالها من الآيات كثيرة يجدها المتتبع الماهر المتدبر في القرآن المتذكر آياته ﴿ وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[5] .

فإذا وجب الاختبار والامتحان ليتبين الصادق من الكاذب والمتباكي من الباكي فاعلم أن الله سبحانه وتعالى ابتلى واختبر الذين قالوا لا إله إلا الله وأظهروا كلمة التوحيد بتكليفهم بنبوة محمد ﷺ والقول بأن محمداً رسول الله فمن أقرَّ به

(١) آل عمران ١٧٩ .
(٢) الحج ٥٢ - ٥٤ .
(٣) البقرة ٢٦ .
(٤) المدثر ٣١ .
(٥) البقرة ٢٦٩ .



مؤمناً مصدقاً مخلصاً فهو من أهل الإخلاص بالتوحيد ومن لم يؤمن به مع ظهور أدلة نبوته وآيات رسالته فهو من المشركين الغير المصدّقين بالتوحيد لأن المخلص لا يخالف من أخلص له الطاعة والمخالف للطاعة ليس مخلصا له .

فخرج بهذا الابتلاء والاختبار خلق كثير كاليهود والنصارى والمجوس والصابئة وسائر فرق الكفر والذين آمنوا بمحمد ﷺ فإيمانهم على أنحاء وأطوار.

فقسم منهم آمن به ﷺ لما سمع من الكهنة والشياطين الذين يسترقون السمع أن شريعة محمد ﷺ تستولي على الشرائع وتغلب الملوك وتقهرها وتذعن الأساطين والسلاطين فآمن به ﷺ للعلم بأن مخالفته لا تنفع بل تضر .

ومنهم آمن بمحمد ﷺ لأنه كان في قومه من الأراذل والأذناب فآمن به وسبق في إيمانه لينال عزا وشرفا في دولته ومناعة ورئاسة في عزته .

وقسم منهم آمن لطمع الدنيا ونيل الغنى وطلب الراحة والشوكة لأنه كان في أهله فقيرا حقيرا ذليلا .

ومنهم من آمن خوفا ووجلا من سيف أمير المؤمنين عليه السلام منكس الرايات مبيد الفرسان ومخمد ضوء أهل الكفر والطغيان وهذا سيف لا يحمله إنسان ولا ذو شجاعة من الإنس والجان .

وقسم منهم آمن مخلصا مؤمنا مصدقا مسلما خاضعا لله ،خاشعا مذعنا منقادا لأمره مستسلما لحكمه ناظرا إلى ربه متوجها إلى بابه منتظرا لخطابه .

وهؤلاء الأقسام المذكورون كلهم ظاهرهم الإسلام وباطنهم ما ترى من النفاق والطغيان والله سبحانه وتعالى كما عرفت من الآيات المتقدمة حكم على نفسه إخراج الأضغان وإظهار ما في القلوب من الحقد والشنآن ولا يذرهم على ما هم عليه في صورة الإيمان ، فأخرج الله طغيانهم وأظهر بواطنهم بأمير المؤمنين عليه السلام وبأولاده الطاهرين سلام الله عليهم ، وأمير المؤمنين عليه السلام لا يسل سيفه ويطالب بحقه ويظهر بالخشوع والخضوع لا بالقهر والسلطنة ، فبعد موت النبي ﷺ طالب أمير المؤمنين عليه السلام بحقه ولم يسل سيفه فلما علموا أنه عليه السلام لا يسل سيفه ولا يحاربهم فأظهروا

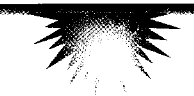


بواطنهم وأخرجوا أضغانهم وقهروه بسلطانهم ولم يراعوا وصية رسول الله فيه عليه السلام وفي أبنائه عليهم السلام ففعلوا ما تمكنوا وآذوه ما قدروا فأظهر الله به عليه السلام كيد الظالمين وجور المنافقين وحسد الحاسدين ، فعلم أن هؤلاء المنافقين ما كانوا مؤمنين بالنبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم وعلم أيضا أن المؤمنين بأمير المؤمنين هم القليلون والمخالفون هم الكثيرون ، فإن الذي اتبع أمير المؤمنين عليه السلام وبقي معه ولم يتخلف ولم يضطرب ولم يشك ولم يرتب هم أربعة سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وهم الذين خاطبهم الله سبحانه بقوله تعالى ﴿وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾(١) والكهف هو أمير المؤمنين عليه السلام لأنه الكهف الحصين وغياث المضطر المستكين وملجأ الهاربين وهؤلاء الأربعة هم أصحاب الكهف الذين هربوا من الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم والذين قال سبحانه فيهم ﴿وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَ هُدُوا إِلَى صِراطِ الْحَمِيدِ﴾(٢) والقوم يومئذ الحاضرون يوم غدير خم سبعون ألفا أو يزيدون والذين بلغتهم الدعوة أكثر وأكثر وهؤلاء الأكثرون ما خلص منهم في الإقرار بالنبوة إلا هؤلاء الأربعة يوم رحلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتبين أن إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان صوريا لا حقيقيا فما كانوا مؤمنين بالله فهم الكفار المحدقون بأولئك الأنجاس الأشرار الحاملون لعظيم الأوزار المستحقين لدخول النار فصفى الموحد المؤمن في ذلك اليوم أربعة وهم القليلون وإليهم الإشارة في قوله تعالى ﴿وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾(٣) ﴿وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾(٤) والمخالفون هم الاكثرون ﴿ وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ﴾(٥) .

فتبّين أمر المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بأمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾(٦) . وكان أمير الؤمنين عليه السلام هو الباب المبتلى به الناس.

(١) الكهف ١٦ .
(٢) الحج ٢٤ .
(٣) هود ٤٠ .
(٤) سبأ ١٣ .
(٥) النحل ٨٣ .
(٦) الحديد ٢٦ .





ثم إن المؤمنين بأمير المؤمنين عليه السلام بعدما كثروا وتناسلوا وتوالدوا ما تركهم الله سبحانه على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فابتلاهم بالإقرار بالأئمة الاثنى عشر فخرجت الكيسانية من تبعية أمير المؤمنين عليه السلام وكونهم من شيعته حيث أنهم اكتفوا بالحسن والحسين عليهما السلام وبعد ذلك ذهبوا إلى إمامة محمد بن الحنفية .

وكذلك الزيدية خرجوا من كونهم شيعته لأنهم كالكيسانية إلا أنهم عدلوا إلى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام. وخرجت الناووسية لأنهم حصروا الأئمة إلى الصادق عليه السلام ووقفوا عليه وقالوا أنه هو القائم المنتظر.

وخرجت الإسماعيلية حيث أنهم جعلوا بعد الصادق عليه السلام إسماعيل ابنه هو القائم المنتظر.

وخرجت الفطحية وهم كالإسماعيلية إلا أنهم عدلوا إلى عبد الله الافطح.

وخرجت الواقفية لأنهم حصروا الأئمة عليهم السلام إلى موسى بن جعفر عليه السلام .

وبالجملة : فإن الله سبحانه ابتلى أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وافتتنهم واختبرهم بالأئمة الاثنى عشر عليهم السلام وجعل إنكار أحدهم كإنكار كلهم .

فهولاء الفرق المنكرون لكلِّهم أو واحد منهم خرجوا عن كونهم من أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم خرجوا عن كونهم (من) شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

فأخرج الله سبحانه أضغانهم وأبان بواطنهم وأظهر سرائرهم وأبان خروجهم عن أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومروقهم عن الدين.

فالمنكر لهم أو المنكر لأحدهم كافر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو كافر بالله . فالمنكرون هم الكافرون وهم ما عدا الاثنى عشرية الفرقة المحقة . والحكم بإسلامهم وطهارتهم إنما هو من شريعة التقية والعسر والحرج .

فصفى المؤمنون الخالصون في الشيعة الاثنى عشرية كما كان قد صفى أولاً بالمؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وثانياً بالمؤمنين بأمير المؤمنين عليه السلام وثالثاً بالأئمة الطاهرين -سلام الله عليهم- واحداً بعد واحد.

وبكل ابتلاء واختبار خرج خلق كثير. فصفت أرباب الملل من المقرين بنبوة



الأنبياء عن القائلين بكلمة التوحيد. وصفت أُمة محمد ﷺ عن القائلين بنبوة الأنبياء وهم القليلون بالنسبة إليهم كالشعرة البيضاء في البقرة السوداء. وصفت الشيعة القائلون بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل عن أمة محمد ﷺ وهم القليلون بالنسبة إليهم .وصفت الشيعة الاثنى عشرية عن الفرق القائلين بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل وهم القليلون فكانت الفرقة المحقة الاثنى عشرية صفوة من صفوة من صفوة من الصفوة .

وأما هؤلاء الاثنى عشرية فقد جرى المزج والخلط واللطخ فيهم إذ لا كل من أقرَّ باللسان يعلم منه أن يكون ذاك معتقده في الجنان ولا كل من أقر بالجنان يعلم منه أن يكون مستقر الإيمان فإن الإيمان المستقر والمستودع في كل شيء محتمل والإقرار بالإخلاص والنفاق في كل فرد ممكن وكون النطفة الخبيثة في الأصلاب الطاهرة في كل مؤمن متوقع قد يلد المؤمن خبيثاً لكنه حيث تربى ونشأ في هذه الفرقة يظهر دين أبويه ويبطن ما جبلت عليه سريرته من النفاق أو أنه يظهر الإيمان وهو في قلبه شاك مرتاب .

فالموجب الداعي للاختبار في كل مقام من المقامات الثلاثة أي (التوحيد) والنبوة نبوة محمد ﷺ والولاية ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده هو بعينه موجود في هذه الفرقة التي هي صفوة الصفوة.

فلولا التمييز والتبيين لما امتاز الغث من السمين ولما تبين الحق الصريح المبين لأن الاعتناء بهذه الفرقة المحقة أكثر والعناية بهم أعظم لأنهم صفوة الوجود بهم يرزق الله العباد وبهم يدفع عن البلاد وبهم يكشف الضر وبهم يرفع الهم فلولاهم ما خلق الله الجنان ولولاهم ما خلق الحور الحسان ولولاهم ما نزلت قطرة ولولاهم ما نبتت حبة ولولاهم ما أثمرت شجرة وما أورقت ورقة ولولاهم ما قرت عين ولولاهم ما زال مين.

وهم أهل الجنة لا سواهم وهم الذين لا يدخلون النار لا غيرهم وهم المصطفون وهم المخلصون وهم التائبون وهم العابدون وهم الراكعون وهم





الساجدون وهم المصلّون وهم المزكون وهم الآمرون بالمعروف وهم الناهون عن المنكر وهم الحافظون لحدود الله وهم المتقون الذين لا يقبل إلاّ عملهم ولا يزكى إلاّ أفعالهم.

إذا كانت هذه صفتهم وهذه أفعالهم وأحوالهم فكيف يرضى الله سبحانه وتعالى بأن يخلطهم بغيرهم ويتصف بالصورة الظاهرية بصفتهم وفي الباطن هم البريئون منه وهو بريء منهم فلا بد من الاختبار حتى يمتاز الأخيار من الأشرار. بل الابتلاء والامتحان الذي ذكره الله تعالى في القرآن لأجل تمييز هؤلاء الأعيان لأنهم المقصودون بالإيجاد في التكوين والإحداث فوجب اختبارهم ليخرج فجّارهم ويصفوا أخيارهم .

ولما كان في جميع مراتب الابتلاء إنما كان الابتلاء بالنوّاب لا غير فان الله سبحانه وتعالى ابتلى أهل التوحيد بالنبي القائم مقامه النائب منابه لأن النبوة خلافة الله والقيام مقام الله[1] في إيصال الأحكام إلى خلق الله ومن أطاع هذا النائب والقائم بالمقام كُتِبَ في زمرة الموحدين ومن خالفه وأعرض عنه ولم يقر بالقائم مقامه هو من الخاسرين المشركين .

ثم إن رسول الله ﷺ ابتلى أمته وأهل إجابته لتمييز خبيثهم من طيبهم بالنائب بعده والقائم مقامه وخليفته في أُمته فهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام لأنه القائم مقام النبي والحامل لأحكامه ﷺ .

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام ابتلى واختبر شيعته القائلين بأنه الخليفة بلا فصل للنبي الصادق الأمين ﷺ بنوابه والقائمين مقامه والأوصياء من بعده لإخراج الأشرار والكفار من سائر فرق الشيعة ما عدى الاثنى عشرية .

ولما تم عدد الأئمة بالإمام الثاني عشر عجل الله فرجه وجعل روحي فدائه عليه وعلى آبائه السلام تمايزت الشيعة الاثنى عشرية عن غيرهم من فرق الشيعة فوجب عليه عليه السلام الابتلاء والاختبار كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إشارة إلى هذه الفرقة (لَتُبَلْبَلُنَّ

---

(١) مصباح للكفعمي ص ٦٩٥ من خطبة أمير المؤمنين في الغدير (و أشهد أن محمدا ص عبده و رسوله استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه انفرد عن التشاكل و التماثل من أبناء الجنس و انتجبه آمرا و ناهيا عنه أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه).



بَلْبَلَةً وَ لَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَ لَتُسَاطُنَّ سَوْطَةَ الْقِدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَ أَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ وَ لَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا وَ لَيُقَصِّرَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا سَبَقُوا)"[1] .

الابتلاء بعد الأئمة عليهم السلام بنوابهم وأبوابهم

فإذا وجب الابتلاء والافتتان لهذه الفرقة ووجب أن يكون ذلك بالنواب والأبواب جرياً على سنة الله سبحانه واتّباعاً لما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقتداءً بها سنه أمير المؤمنين عليه السلام وكان لا يمكن ذلك الابتلاء بحضوره عليه السلام كما لم يكن بحضور أسلافه من قبله ولما كان في وفاته عليه السلام وارتحاله خراب الدنيا وهلاكها قبل أوانه لأنه عليه السلام آخر الأئمة وتمام الصفوة ولم يكن الابتلاء والاختبار في الحضور لأن الذي آمن به لا يسعه مخالفته وهو حاضر كما أن القوم الذين خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام وأنكروا حقه وغصبوه ما خالفوه في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم لما أمرهم بالبيعة له والتسليم عليه بإمرة المؤمنين فمن هذه الجهة لا يمكن الابتلاء والافتتان والفتنة حال الظهور والحضور .

ولما كان الإمام عليه السلام وجه الله المتخلّق بأخلاق الله أجرى سنة الله سبحانه فغاب مع وجوده وعيّن له أبواباً ففي أول غيبته عين عليه السلام أبوابا مخصوصين وأُناساً معلومين قد ورد التوقيع لهم بالخصوص وندب إلى متابعتهم وحذّر عن مخالفتهم وذكر أن طاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته عليه السلام.

ثم أوصاهم بأن يرجعوا إليهم وكلّما يرجع إلى الإمام عليه السلام من الحقوق والأنفال يُدْفَع إليهم وكانوا أُولئك الأربعة نواباً عنه عليه السلام في وقت أول الغيبة متناوبين متبادلين لا مجتمعين وهم (عثمان بن سعيد العمري)و(محمد بن عثمان)و(حسين بن روح)و(علي بن محمد السيمري) وهؤلاء الأربعة بقوا في هذه الفرقة وأقاموا فيها مقام حمد وشكر وهلك فيهم خلق كثير .

منهم الذين ادّعوا أنهم أبواب له عليه السلام وهم كاذبون فمنهم أبو محمد المعروف بالشريعي[2] وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن له أهلاً وادعى أنه

---

(١) الكافي ج ٨ ص ٦٧ .

(٢) الغيبةللطوسي ص ٧٩٣ عن أبي محمد التلعكبري عن أبي علي محمد بن همام قال كان الشريعي يكنى بأبي محمد قال هارون و أظن اسمه كان





باب صاحب الزمان وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام نسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء فلعنته الشيعة وتبرأت منه وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد .

ومنهم محمد بن نصير النميري[1] أنكر وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان وأنكر أن يكون باباً له عليه السلام وادّعى لنفسه أنه الباب ففضحه الله تعالى وأخرج باطنه بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبريه منه واحتجابه عنه وقد ادّعى ذلك الأمر بعد الشريعي. ثم ظهرت بعد ذلك منه أقوال شنيعة وعقائد قبيحة قد كانت مستجنة في فؤاده وصار وجود الباب محمد بن عثمان سبباً لإظهاره وكان يدّعي أنه رسول نبي وأن محمد بن علي الهادي هو الرب وكان يقول بالتناسخ ويقول بالإباحة للمحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات وأن الله عز وجل لم يحرم شيئاً من ذلك.

ومنهم أحمد بن هلال الكرخي أنكر أيضاً وكالة محمد بن عثمان فلعنته الشيعة فتبرأوا منه ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبرائة منه .

ومنهم أبو طاهر محمد بن علي بن بلال[2] أنكر وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان

الحسن و كان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي بعده ع و هو أول من ادعى مقاما لم يجعله الله فيه و لم يكن أهلا له و كذب على الله و على حججه ع و نسب إليهم ما لا يليق بهم و ما هم منه براء فلعنته الشيعة و تبرأت منه و خرج توقيع الإمام ع بلعنه و البراءة منه. قال هارون ثم ظهر منه القول بالكفر و الإلحاد.

(١) رجال الكشي ص ٥٢٠ قال أبو عمرو و قالت فرقة بنبوة محمد بن نصير النميري ، و ذلك أنه ادعى أنه نبي رسول و أن علي بن محمد العسكري أرسله، و كان يقول بالتناسخ و الغلو في أبا الحسن ، و يقول فيه بالربوبية، و يقول بإباحة المحارم، و يحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا في أدبارهم، و يقول إنه من الفاعل و المفعول به أحد الشهوات و الطيبات، و إن الله لم يحرم شيئا من ذلك، و كان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوى أسبابه و يعضده، و ذكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عيانا، و غلام له على ظهره، و أنه عاتبه على ذلك، فقال إن هذا من اللذات و هو من التواضع لله و ترك التجبر، و افترق الناس فيه و بعده فرقا.

(٢) بحارالأنوار ج ٥١ ص ٣٦٩ و حكى أبو غالب الزراري قال حدثني أبو الحسن محمد بن محمد بن يحيى المعاذي قال كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة ثم إنه رجع عن ذلك و صار في جملتنا فسألناه عن السبب قال كنت عند أبي طاهر يوما و عنده أخوه أبو الطيب و ابن خزر و جماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال أبو جعفر العمري على الباب ففزعت الجماعة لذلك و أنكرته للحال التي كانت جرت و قال يدخل فدخل أبو جعفر رضي الله عنه فقام له أبو طاهر و الجماعة و جلس في صدر المجلس و جلس أبو طاهر كالجالس بين يديه فأمهلهم إلى أن سكتوا. ثم قال يا أبا طاهر نشدتك الله أو نشدتك بالله أ لم يأمرك صاحب الزمان ع بحمل ما عندك من المال إلي فقال اللهم نعم فنهض أبو جعفر رضي الله عنه منصرفا و وقعت على القوم سكتة فلما تجلت عنهم قال له أخوه أبو الطيب من أين رأيت صاحب الزمان فقال أبو طاهر أدخلني أبو جعفر رضي الله عنه إلى بعض دوره فأشرف علي من علو داره فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه فقال له أبو الطيب و من أين علمت أنه صاحب الزمان ع قال وقع علي من الهيبة له و دخلني من الرعب منه ما علمت أنه صاحب الزمان ع فكان هذا سبب انقطاعي عنه.

نور الله وجهه وأمسك الأموال التي كانت عنده وامتنع من تسليمها إلى أبي جعفر محمد ابن عثمان وادّعى أنه هو الوكيل حتى تبرأت الشيعة منه ولعنوه وخرج التوقيع بلعنه والبراءة منه عن صاحب الزمان عليه السلام.

ومنهم الحسين بن منصور الحلاّج [1] ادّعى أنه الباب بلا واسطة عن صاحب الزمان عليه السلام وصار إلى قم وكتب إلى بعض أهاليها أنه رسول الإمام ووكيله فلما وقعت المكاتبة في يد حسين خرقها ومزقها ولعنته الشيعة وتبرأت منه وخرج التوقيع عن صاحب الزمان عليه السلام بلعنه والبراءة منه وقصته مشهورة وحكايته معروفة .

ومنهم ابن أبي القراقر محمد بن علي الشلمغاني [2] ادّعى أنه الباب وأنكر وكالة أبي القاسم حسين بن روح فلعنته الشيعة وتبرأت منه وخرج التوقيع بلعنه والبراءة منه وقد كان أظهر القبائح وأصر على الشنائع أبدع بدعاً واخترع اختراعات إلى أن قتلوه لا رحمه الله.

وهؤلاء بإنكارهم الباب أي أحد الأبواب الذين قد جعلهم الإمام عليه السلام قائماً مقامه ونائباً منابه بإنكارهم له أو لهم خرجوا عن مذهب الشيعة واستحقوا من الله ومن الإمام اللعنة وتبرأ المؤمنون والصالحون والعلماء الراشدون والصلحاء والصديقون منهم وقد أخرجوهم من الاثنى عشرية وألحقوهم بغيرهم من سائر الملل المخالفة والنحل المبطلة.

وكل واحد من هؤلاء الملاعين له أتباع كثيرون قد ظهرت بواطنهم الخبيثة بدعوى ضلالة هؤلاء الفجرة وأخرج الله سبحانه بهؤلاء الأبواب الأربعة

---

(١) بحارالأنوار ج ٥١ ص ٣٦٩ و منهم الحسين بن منصور الحلاج. أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج و يظهر فضيحته و يخزيه وقع له أن أبا سهل بن إسماعيل بن علي النوبختي رضي الله عنه ممن تجوز عليه مخرقته و تتم عليه حيلته فوجه إليه يستدعيه و ظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر

(٢) بحارالأنوار ج ٥١ ص ٣٢٣ عن أبي علي بن همام قال أنفذ محمد بن علي الشلمغاني العزاقري إلى الشيخ الحسين بن روح يسأله أن يباهله و قال أنا صاحب الرجل و قد أمرت بإظهار العلم و قد أظهرته باطنا و ظاهرا فباهلني فأنفذ إليه الشيخ في جواب ذلك أينا تقدم صاحبه فهو المخصوم فتقدم العزاقري فقتل و صلب و أخذ معه ابن أبي عون و ذلك في سنة ثلاث و عشرين و ثلاث مائة قال ابن نوح و أخبرني جدي محمد بن أحمد بن العباس بن نوح رضي الله عنه قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصيمري قال لما أنفذ الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه التوقيع في لعن ابن أبي العزاقر أنفذه من مجلسه في دار المقتدر إلى شيخنا أبي علي بن همام في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة و ثلاثمائة و أملى أبو علي علي و عرفني أن أبا القاسم رضي الله عنه راجع في ترك إظهاره فإنه في يد القوم و في حبسهم فأمر بإظهاره و أن لا يخشى و يأمن فتخلص و خرج من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة و الحمد لله



ضغائن صدور أُولئك الخلق الكثير وهم أصحاب الحلاج وأصحاب الشلمغاني وأصحاب أبي طاهر محمد بن علي بن بلال وأصحاب احمد بن هلال الكرخي وأصحاب النميري وأصحاب الشريعي.

فقد أخرجهم الله سبحانه باختبارهم وابتلائهم لهؤلاء الأبواب الأربعة عن الفرقة الاثنى عشرية وأبانهم عنها وأخرجهم منها .

فلولا هذا الاختبار والامتحان ما خرجت أولئك الكفرة الفجرة فلما أنكروا نيابة هؤلاء النواب ووكالة هؤلاء الوكلاء الأطياب فقد أنكروا صاحب الزمان عليه السلام بحيث أنه عليه السلام معصوم مطهر لا ينقل إلا عن آبائه فقد أنكروا آبائه الأئمة الأحد عشر عليهم السلام.

وحيث أنهم معصومون طيبون طاهرون لا ينقلون إلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أنكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فقد أنكروا الله سبحانه .

فإنكار الباب إنكار الإمام عليه السلام وإنكار الإمام عليه السلام إنكار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنكار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنكار الله سبحانه وإنكار الله سبحانه كفر .

فالمنكر للباب لكونه باباً كافر خارج عن مذهب الإسلام ومخلّد في نار جهنم على الدوام ولكن المعاملة الدنياوية ما دامت الدولة للظالمين والسلطنة للفاسقين تختلف أحكامها باختلاف موضوعاتها ومقتضياتها وإلا فحكم الآخرة لا يختلف أبداً وهذا المنكر للباب في جهنم مع الكفار مخلَّداً سرمداً .

فتبين لك أن بهذا الاختبار والامتحان خرجت جماعة كثيرة ممن في قلوبهم الشقاق والنفاق وما كان قبل ذلك ظاهراً منهم هذا الشقاق والنفاق وقد ظهر بهذا الاختبار وكانوا قبل ذلك من الفرقة المحقة الاثنى عشرية بلا تميز منهم ولا فرق بينهم فلما ظهر خور المنافقين وتبيَّن ضغن الفاسقين أراد الإمام عليه السلام زيادة التمحيص والاختبار لإخراج جماعة أُخرى من أولئك الفجار لأن أنحاء اختبارهم مختلفة وأطوارهم متشتتة فلا بدَّ أن يختبرهم حتى لا يبقى إلا الصافي المحض الذي لا يشوبه التغيير .

وقد روي في (العوالم) عن ابن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه عليه السلام قال (كونوا كالنحل في الطير ليس شيء من الطير إلا و هو يستضعفها و لو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك خالطوا الناس بألسنتكم و أبدانكم و زايلوهم بقلوبكم و أعمالكم فو الذي نفسي بيده ما ترون ما تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض و حتى يسمي بعضكم بعضا كذابين و حتى لا يبقى منكم أو قال من شيعتي إلا كالكحل في العين و الملح في الطعام و سأضرب لكم مثلا و هو مثل رجل كان له طعام فنقاه و طيبه ثم أدخله بيتا و تركه فيه ما شاء الله ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس فأخرجه و نقاه و طيبه ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس فأخرجه و نقاه و طيبه و أعاده و لم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضره السوس شيئا و كذلك أنتم تميزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرها الفتنة شيئا)[1].

وفيه : عن (غيبة الطوسي) بالإسناد عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال (والله لتمحصن يا معشر الشيعة شيعة آل محمد كمخيض الكحل في العين لأن صاحب الكحل يعلم متى يقع في العين و لا يعلم متى يذهب فيصبح أحدكم و هو يرى أنه على شريعة من أمرنا فيمسي و قد خرج منها و يمسي و هو على شريعة من أمرنا فيصبح و قد خرج منها)[2].

(وفيه): عن (غيبة الطوسي) ره باسناده عن فرات بن أحنف قال قال أمير المؤمنين عليه السلام وذكر القائم عليه السلام وقال (ليغيبن عنهم حتى يقول الجاهل ما لله في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاجة)[3].

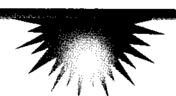
(وفيه): عن (غيبة النعماني) بالاسناد عن مالك بن ضمرة قال أمير المؤمنين عليه السلام (يا مالك بن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا و شبك أصابعه و أدخل بعضها في بعض.

فقلت : يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير .

(١) الغيبة للنعماني ص ١٢.

(٢) ، (٣) الغيبة للطوسي ص ٥ .





قال : الخير كله عند ذلك يا مالك عند ذلك يقوم قائمنا فيقدم سبعين رجلا يكذبون على الله و على رسوله ﷺ فيقتلهم ثم يجمعهم الله على أمر واحد)[1] .

وبالجملة : فالتمحيص والاختبار والامتحان والافتتان لا بدّ منه حتى يميز الخبيث من الطيب ويجعل الله الخبيث بعضه على بعض فيركمه ويجعله في جهنم جميعاً .

وقد اختبر الشيعة بنصب الأبواب الأربعة فخرج أُولئك الكفرة الفجرة بعدم متابعة أُولئك الأبواب وعدم الإذعان والتصديق لهم في كل باب فكفروا ووسموا بسمة الكفر وخرجوا أن يكونوا من الفرقة المحقّة بعد أن كانوا منها.

فتّدرج -عليه السلام وروحي له الفداء- كما تدّرج آباؤه عليهم السلام.

فإن رسول الله ﷺ اختبر الأمة بأمير المؤمنين عليه السلام وهو حاضر موجود بين أظهرهم يرونه ويسألون عنه .

ثم أمير المؤمنين عليه السلام اختبر شيعته القائلين بإمامته بنوّابه من بعده الأئمة المعصومين عليهم السلام .

فلما بعدت المدة وحصل النضج في الطبيعة وزادت المدارك وقويت المشاعر وكمل إدراك السرائر وقويت الضمائر فلا يكفي الاختبار بظهور الإمام عليه السلام لقوة إدراكهم فاختبرهم بغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام .

ثم إنه عليه السلام عيّن نواباً معلومين وأبواباً مسمين متشخصين فهلك خلق لعدم اتباعهم وانتهاج مناهجهم .

فصَعَّبَ عليه السلام الأمر في الاختبار وغيّب أشخاصهم وعيّن نواباً بالصفة والرسم لا بالشخص والاسم لمزيد الاختبار وظهور الاعتبار فأبهم النوّاب بأعيانهم وأشخاصهم وعينّهم بصفاتهم وأخلاقهم وآدابهم ومسالكهم ومناهجهم وأوطارهم في أطوارهم وأكوارهم وأدوارهم.

وأمر عليه السلام الرابع من الأبواب وآخر أركان ذلك الجناب ألاّ يعيّن أحداً ولا يوصي إلى أحد لتشمل الفتنة وتعّم المحنة وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة ليحصل التمييز التام والابتلاء العام.

(١) الغيبة للنعماني ص ١٢.

فمن هذه الجهة لمّا أدرك علي بن محمد الصيمري -آخر الأبواب- الوفاة وسألوه عن القائم مقامه فقال عليه السلام: (لله أمر هو بالغه) وهو الذي أشرنا إليه من إرادة كمال الاختيار.

فجعل له نواباً موصوفين بالصفات وقد أشار إليها على جهة الإجمال مولانا الحجّة المفضال بقوله :(وَ أَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَ أَنَا حُجَّةُ اللَّهِ)[1].

النائب خاص وعام

ثم إن هذا النائب الذي هو الحجة على قسمين: قسم عام، وقسم خاص، وإلى القسمين أشار عليه السلام في حديثين وأشار عليه السلام إلى النائب الخاص الذي هو العام من حديث أبي خديجة بقوله عليه السلام: (انْظُرُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ يَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ قَضَايَانَا فَاجْعَلُوهُ بَيْنَكُمْ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ قَاضِياً فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ)[2] الحديث .

وهذا النائب كل من حمل حقاً أو نوعاً من الخير والحق فلا يلزم أن يكون جامعاً ولا يلزم أن يكون مؤمناً إلا أن يكون نائباً في المسائل الفقهية والأحكام الشرعية الفرعية وإلا فلا يوصل أحد إلى أحدٍ خيراً او حقاً إلاّ بهم وبنيابتهم وإن لم يستشعر النائب أنه نائب ولم يدرك الباب أنه باب لأن الخير كله منهم وإليهم.

وفي الزيارة : (إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه). وفيها ايضاً: (أشهد ان الحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم)[3].ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا بن عباس لن تجد بيد أحد حقاً إلاّ بتعليمي وتعليم علي بن أبي طالب عليه السلام)[4] وكل من يُعَلِّم أحداً حقاً ويقول صدقاً ورشداً إلى خير ويهدي إلى صراط مستقيم يكون لساناً لأمير المؤمنين ورسول الله الصادق الأمين والائمة الطاهرين -صلوات الله عليهم أجمعين- نائباً عنهم وباباً وحجاباً لهم إلا أن من

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٤٠ .

(٢) الفقيه ج ٢ ص ٣ .

(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة .

(٤) في الكافي والمحاسن ومجالس الشيخ بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (عليه السلام) :((أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء اخذوه منا أهل البيت ولا أحد من الناس يقضي بقضاء ولا عدل ولا صواب إلا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسببه علي بن ابي طالب (عليه السلام). فاذا إشتبهت عليهم الامور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطئوا والصواب من قبل علي بن ابي طالب إذا أصابوا)).



الأمور والهدايات يجرونها بيد من يحبون ومنها بيد من لا يحبون ما دامت الدولة للظالمين والشوكة للفاسقين والصولة للكافرين وذلك أحفظ لهم ولرعيتهم. ألا ترون أنه رفع عمود الاسلام وذكر اسم محمد ﷺ بين أظهر الانام ودخلت الكفار في الإسلام الصوري بسيف عمر وغيره من خلفاء الجور وأنت تعلم أنه لا يجري خير ولا حق إلا بهم ومنهم كلهم حينئذ أبواب وحجب والى هذه المعنى الإشارة بقوله عليه السلام : (أن لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة)[1] وشرح هذه الكلام يطول والمقام لا يقتضي ذكر أزيد من ذلك .

فالنائب الخاص كل صاحب صنعة الذي منه اشتهرت وظهرت ، فرؤساء أهل اللغة نواب لهم في إيصالها الى الناس ورؤساء أهل النحو وعلماؤهم نواب لهم في إيصالهم الى الحق وكذلك اهل كل صنعة صحيحة.

ومن هذا القبيل الرجوع إلى أهل الخبرة . إلا أن هؤلاء النواب منهم يشترط عدالتهم في وساطتهم وذلك لأجل الموصل إليهم لا لأجل الإيصال ومنهم من لا يشترط عدالتهم ووثاقتهم كسائر أهل الحرف والأمر في هذا القسم بيّن ولا يقع به الاختبار إلاّ على وجه بعيد .

وأما القسم الثاني وهو النائب العام الذي هو الخاص وهذا هو الأصل مثال الإمام وظاهره في الرعية أخلاقه تشابه أخلاقه وعلمه مأخوذ من علومه. وإلى هذا القسم أشار مولانا الصادق عليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة رحمه الله : (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مِمَّنْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا وَ نَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَ حَرَامِنَا وَ عَرَفَ أَحْكَامَنَا فَلْيَرْضَوْا بِهِ حَكَماً فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِماً فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ فَإِنَّمَا اسْتَخَفَّ بِحُكْمِ اللَّهِ وَ عَلَيْنَا رَدَّ وَ الرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ)[2] .

هذا القسم من النائب هو الذي يقع فيه الاختبار والامتحان وحكم هؤلاء كحكم المخصوصين المنصوصين من الأبواب الأربعة وإنكار هؤلاء مثل إنكار أولئك. والاختبار في هذا القسم يقع في مقامين:

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٥٥ .

(٢) الكافي ج ١ ص ٦٧ .



أحدهما:في التمييز بين النائب وغيره فانه كما كان في الغيبة الصغرى نوّاب ممدوحون وآخرون مدعون مذمومون كذلك الحكم في هؤلاء النواب فإن أهل الدعوى كثيرون والواصلون إلى الحق قليلون ؛

خليلي قطاع الفيافي الى الحمى
كثير وأما الواصلون قليل

فالاختبار الأول: في التمييز بينهم بعلامات وصفات تشّخص الحق من الباطل والماء من السراب .

والمقام الثاني: في الاختبار متابعة هؤلاء النواب وعدم الاختلاف فيهم وعدم الانكار عليهم حتى لا يخرج من هذه الفرقة المحقة بمخالفته إياهم ولا يدخل في زمرة الكفار بمخالفته لهم ونحن نذكر أولاً بعض العلامات المأخوذة من سادات البريات عليهم السلام لبيان نوّابهم الممدوحين لرفع شبهة الجاهل وقطع حجة المعاند.

العلامات التفصيلية للنائب

فنقول: اعلم أن لأهل الحق علامات بها يمتازون عن غيرهم فإذا وجدتها في أحد فاعلم أنه القرية الظاهرة التي قد أُمرت بالسير فيها إلى القرية المباركة وتلك العلامات على وجهين: أحدهما ما يتعلق بعلمهم ، وثانيهما ما يتعلق بعملهم.

أما الأول: فاعلم أنهم إذا نظروا في مسألة من المسائل لا ينظرون فيها حتى ترتفع ثلاث خصال وتجتمع خمسة خصال .

أما الأولى: فأولها أن يتمحض قصدهم ونيتهم في معرفة تلك المسألة من العلم لله سبحانه ليتوصل بها إلى طاعته ورضاه من عمل أو قول أو ظهور قدرة وعظمة يوجب كمال الخوف أو نعمة وإحسان يوجب الرجاء والطمع أو جلال يقهره عن نفسه أو جمال يجذبه إليه ويفقده عن نفسه لينقطع إلى ربه وأمثال ذلك من الأحوال الراجعة إلى الحق سبحانه. ولا يطلبها ليعاند بها العلماء ويماري بها السفهاء أو يصرف إليه وجوه الناس أو ليعزز علمه ليعرف بذلك ويشتهر به وأمثال ذلك من أنواع العصبية والجدال والمراء كما ترى في أغلب أحوال الناس .

وثانيها : أن لا يكون حين النظر مأنوساً بطائفة من أهل وغيره ويميل قلبه إليهم



وإلى ما يقولون فإن حبك للشيء يعمي ويصم وقد يكونون على باطل وخطأ فيقع فيما وقعوا فيه بل يكون أنسه بالله وميله فيما عند الله ورغبته فيما اختاره الله سبحانه فـ ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ﴾[1] .

وثالثها : أن لا يكون عنده قاعدة قد أخذها من غير أهل بيت العلم على النمط الذي نذكره إنشاء الله تعالى فإن من عنده قاعدة لا يأمن أن يركن إليها ويصرف العلم إليها وقد تكون باطلة فاسدة فيقع في الخطأ والغلط كما ترى الآن أغلب الناس يطرحون الأخبار الصحيحة وينكرونها لمخالفتها لقاعدتهم وقد تكون القاعدة باطلة .

وأما الثانية: من الخصال الوجودية :

فأولها : أن يكون باقياً على الفطرة الأصلية الأولية غير مغير لها بمتابعة الشيطان فلم تسبقه الشكوك والشبهات. وعلامته أن يكون دائم النظر والتفكر في خلق السماوات والأرض وخلق نفسه وأحواله وعظيم التحير حينما ينظر إليها وعلامة ذلك صفاء طويته وزكاء سريرته وعلامته أن لا يشغله علم من الآخر بل تكون الأشياء عنده بعضها دليلاً للآخر فلا يقال فيه أنه كامل في علم دون العلم الآخر بل العلوم كلها عنده على حد سواء لأن الباقي على الفطرة يرى آية الوحدة في كل شيء فعين بصيرته مفتوحة يرى الأجسام على اختلاف ألوانها وأحوالها وكذا عين القلب إذا كانت مفتوحة. وأما الذي يقتصر على شيء فلا يعرف الآخر فهو كالأعمى الذي يعلِّمونه بعض الأشياء فلا يعلم إلاّ الذي علم.

وقولي:(كل العلوم عنده على حد سواء) مرادي أنه عرف اللطيفة السارية في العلوم لا كلها حاضرة عنده بل إذا طلب كلما أراد منها وجد بمشاهدة تلك النقطة فيها ويستدل بكلها على كلها.

وثانيها : أن يجد لها دليلاً من كتاب الله سبحانه من الآيات المحكمات التي هن أُم الكتاب بحيث لا يمكن إنكارها ولا اعتذارها للمنصف وأما المعاند فلا تقطعه ألف حجة. ولا يتشبث في الاستدلال بالمتشابهات وهي التي لم تظهر دلالتها والمراد

(١) النساء ١٣٤ .



منها إما بنفسها أو بأمر خارج منها كالأخبار الموضحة لها المعينة للمراد منها. وإن كانت هي على الظاهر مجملة فإنها حينئذ ليست من المتشابهات .

وثالثها : أن يجد لها دليلاً من أحاديث أهل البيت عليهم السلام كما ذكرنا في الكتاب ويتجنب عن الأحاديث التي لم يقبلها الأصحاب إلا إذا كانت راجعة إليها. وأن لا يكون لها معارض أقوى بل لا يجد معارضاً أصلاً إذ التعارض في الأخبار أمر صوري ولا حقيقة له. وأما تغيير المغيرين والمبدلين وسهو الساهين والناسين في الرواية وأمثالها فجعلوا عليهم السلام في إرشاداتهم قرائن وأدلة تنفيها وتثبت الأمر الواقعي المراد ولولا ذلك لما استقام قولهم عليهم السلام :(إن لنا أوعية نملأها علماً لننقلها إليكم فخذوها وصفّوها تجدوها نقية صافية وإياكم والأوعية فتنكبوها فإنها أوعية سوء)[1] هذا معنى الحديث .

فلولا القرائن الناصبة لما تأتي التصفية فإن الخلق جهال لا يعلمون شيئاً إلا ما علّموهم إياه كما قال صلى الله عليه وآله ما معناه (يابن عباس لا تجد في يد أحد حقاً إلا بتعليمي وتعليم علي عليه السلام) والكلام في هذا المقام طويل والإشارة كافية لمن اهتدى إلى سواء السبيل ولم يتعود بالقال والقيل.

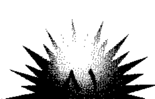
فمجمل القول أنه لا يتمسك برواية على خلاف القانون الذي جرت العادة بين الفرقة المحقة في التمسك بها فإن هذه الطائفة لا تزال على الحق حتى تقوم الساعة .

ورابعها : أن يدل عليها العقل المستنير بنور الله والمستوقد بضياء أئمة الهدى عليهم السلام ومعناه أنه تربى ونشأ في شدة الاعتناء والنظر في أخبارهم مع الاعتقاد الجازم بأنهم عليهم السلام لا يهملون رعاياهم وغنمهم وعالما بأنه حينما ينظر ويلاحظ الأخبار هو بين يدي إمامه وسيده فيتعلم منه عليه السلام كما قالوا (نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء)[2] .

---

(١) في مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٢٨٤ حَدَّثَنَا جابِرُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَر عليه السلام يَقُولُ (إِنَّ لَنَا أَوْعِيَةً نَمْلَؤُهَا عِلْماً وَ حكماً وَ لَيْسَتْ لَهَا بِأَهْلٍ فَمَا نَمْلَؤُهَا إِلَّا لِتُنْقَلَ إِلَى شِيعَتِنَا فَانْظُرُوا إِلَى مَا فِي الْأَوْعِيَةِ فَخُذُوهَا ثُمَّ صَفُّوهَا مِنَ الْكُدُورَةِ تَأْخُذُونَهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً صَافِيَةً وَ إِيَّاكُمْ وَ الْأَوْعِيَةَ فَإِنَّهَا وِعَاءُ سَوْءٍ فَتَنَكَّبُوهَا).

(٢) في الكافي ج ١ ص٣٤ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ (سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَغْدُو النَّاسُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ عَالِمٍ وَ مُتَعَلِّمٍ وَ غُثَاءٍ فَنَحْنُ الْعُلَمَاءُ وَ شِيعَتُنَا الْمُتَعَلِّمُونَ وَ سَائِرُ النَّاسِ غُثَاءٌ).





وهو عليه السلام لا تمنع غيبته من مشاهدة رعيته وإصلاح أحوالهم وطرد الشيطان والباطل عنهم كما في تأويل قوله تعالى ﴿وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ إلى قوله﴿ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾[1] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله (كلما كان في الامم الماضية يكون في هذه الامة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة)[2] وهذا هو العقل المستنير فيجب أن يكون له دليل عقلي عليها أي على المسئلة زائدا عما دل عليه الكتاب والسنة ليكون على بصيرة ومعرفة .

وخامسها : أن يجد لها دليلا عيانيا شهوديا من العالَم فإنه كتاب الله الأكبر كتبه الله سبحانه بيده وبناه بحكمته ورباه بقدرته وحفظه بصنعه وجعله من أعظم آياته وحث الناس بقرائته حيث يقول ﴿قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ﴾[3] ويقول ﴿وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ﴾[4] ﴿وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ ﴾[5] ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[6] .

ثم إن الله سبحانه بيّن كيفية الاستدلال بتلك الآيات فقال ﴿وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ ﴾[7] فهذا هو المدعى.

ثم جعل لهذا آية ودليلاً ليعرف الخلق كيفية هذا الحشر والعود بعد موت الخلق واضمحلالهم فقال سبحانه ﴿وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَ أَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَ جَعَلْنا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ﴾[8] الآية.

---

(١) القصص ١٥ .

(٢) في بحارالأنوار ج ٢٥ ص ١٣٤ قال عليه السلام (يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة) ، وفي بحارالأنوار ج ١٠ص ٨٢ قال رسول الله صلى الله عليه وآله (كل ما كان في الأمم السالفة فإنه يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة) .

(٣) يونس ١٠١ .

(٤) العنكبوت ٤٣ .

(٥) يوسف ١٠٥ .

(٦) فصلت ٥٣ .

(٧) يس ٣٢ .

(٨) يس ٣٣ - ٣٤ .

ثم شرح هذه الآية في سورة (ق) حيث قال سبحانه ﴿وَ نَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ * وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقاً لِلْعِبادِ وَ أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ ﴾[1] والقرآن مشحون بتبيان هذه الأحوال .

وبالجملة : ما خلق الله سبحانه شيئا وما كلّف العباد بأمر إلا وقد بيّنه بأكمل التبيان ، والبيان الكامل إنما يتم بالبيانين الحالي والمقالي فالبيان الحالي هو (العالَم) والمقالي هو (الكتاب والسنة) وكل منهما شرح وبيان للآخر ومطابق له. في صورة المخالفة يظهر بطلان الاستدلال فلا تخالف السنة الكتاب أبدا ولا العكس ولا العالم الأمرين.

فإذا تطابقت هذه الأدلة الأربعة مع عدم مخالفة الفرقة المحقة التي لا زال الحق معها فيتم.

ففي مخالفتهم عدول عن الحق والعادل عن الحق لا ينجو ومع بقاء الفطرة الأصلية الغير المعوجة ومع رفع تلك الخصال وجب أن يكون حقاً وإلاّ لكان الحق سبحانه مغريا بالباطل ومخالفا للوعد تعالى ربي عن ذلك علّوا كبيرا.

المجاهدة في أكمل مراتبها

أما الوعد فقد قال تعالى ﴿وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] والمجاهدة في الله ما تتحقق على أكمل المراتب إلا كما ذكرنا لأنه هو الطريق المؤدي إلى الحق قطعاً ولا تصح أن تكون المجاهدة بالإدبار والاعراض عن الحق تعالى كما في مقابلات ما ذكرناه فيجب على الله سبحانه الهداية ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾[3] .

وأما الإغراء بالباطل فلا يمكن فرض وقوعه بالنسبة إلى الله سبحانه مع أن الله تعالى نصَّ بوفاء العهد الذي عاهد من هدايته المحسنين حيث قال ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4]

---

(١) ق ٩-١١ .
(٢) العنكبوت ٦٩ .
(٣) إبراهيم ٤٧ .
(٤) البقرة ٢١٣ .



فأثبت الهداية للمؤمنين ثم شرح الإيمان وأوضح حقيقته فيما يتعلق بالعلم أو مع العمل بقوله الحق ﴿فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] والمخاطب في الظاهر هو رسول الله ﷺ وفي الباطن هو أمير المؤمنين عليه السلام والإخلاص في حكم أمير المؤمنين هو الذي ذكرنا لك من ملاحظة الأدلة الأربعة.

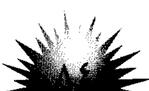
ثم بيّن الله سبحانه إصابة المؤمنين فيما صاروا إليه من معتقداتهم وأعمالهم وعدم خطئهم فيما ينسبون إلى الله عز وجل بقوله تعالى ﴿وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيّاماً آمِنِينَ﴾[2] وقال مولانا الباقر عليه السلام (نحن القرى التي بارك الله فيها والقرى الظاهرة شيعتنا).

فنصَّ الله سبحانه وتعالى باتباع الشيعة المؤمنين الذين هداهم الله للحق مع اختلاف الناس في الأداء ونص أيضا على أنهم لا يخطئون إذ حكم السائرين فيهم الآخذين عنهم بالأمن ولا يكون إلا الأمن من الخطأ فأثبت صحة المجاهدة في الله لترتب الآثار عليه وهي الهداية وقد قلنا أن المجاهدة في العلم لا تكون إلا كما ذكرنا وكلما سواه طريق الهلاك والبوار وسبيل الخسران إلى النار.

ثم إن كل شيء لما كان له ثلاث جهات جهة إلى الحق وجهة إلى نفسه من حيث أنه أثر لغيره وجهة إلى غيره من حيث ارتباطه لترتب نظام معيشته في دنياه وآخرته عليه ولكل حكم أحكام واقتضاءات تجري على ذلك المقام ولكل مرتبة دليل خاص من تلك المرتبة فللثالثة دليل المجادلة وللثانية دليل الموعظة الحسنة وللأولى دليل الحكمة وفي كل مقام يجب تحقق تلك الخصال كلها من الوجودية والعدمية فيكون للعارف من المؤمنين الممتحنين والشيعة المخلصين أربعة وعشرين دليلاً وميزانا في معرفة كل شيء وفي كل واحد ربما يتطرق فيه الخطأ.

وأما إذا اجتمعت فيمتنع ذلك لما ذكرنا فإذا عجز عن إتيان هذه الأمور كلها في شيء من الأشياء وإن تمكن عنه في أغلبها وأكثرها فذلك لا يوثق به وأما إذا كان

(١) النساء ٦٥ .
(٢) سبأ ١٨ .



في كل شيء بحيث لا يشذ عنه شيء أتى بالمذكورات فهو المؤمن الممتحن الذي امتحن قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام ووجب على الخلق اتباعه والاقتداء به فيما يجهلون من أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم وعقباهم وهو القليل من المؤمنين وهو أعز من الكبريت الأحمر وهؤلاء الذين عندهم من الأسرار ما لا يتحمله إلا الصديقون والأبرار.

فإذا سمعت منهم شيئا فلا تقابله بالإنكار وسلم الأمر له تسلم بشرط تحقق الأمر الثاني فيهم كما سنذكره إنشاء الله تعالى فإذا رأيت فيهم ما يخالف ذلك تبرأ منهم فإنهم أعداء الدين وخصماء النبيين وخلفاء الشياطين.هذا الذي ذكرنا هو علامة الحق في العلم.

مطابقة العمل للشريعة

وأما العلامة الثانية: وهي العمل وهو أن يكون جميع أعماله وأقواله مطابقة لما عليه الشريعة الغراء النبوية العامة للمخلوقين كلها فلا ينكر شيئا منها بادعاء أن الباطن غير الظاهر وأن هذه الأعمال لأهل الظاهر وأما المطلوب من العارفين فإخلاص القلب ولطافة السر لا هذه الأعمال المشتركة فيها العوام وسائر الخلق فإن ذلك من صفات الفسقة أهل الجور حيث تثاقلوا عن الطاعات بل يكون المؤمن كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بعض صفاته وامتيازه من أهل الباطل .

حديث أمير المؤمنين في وصف المؤمن

روى الكليني باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام رجل يقال له همام وكان عابدا ناسكاً مجتهدا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه .

فقال عليه السلام : يَا هَمَّامُ الْمُؤْمِنُ هُوَ الْكَيِّسُ الْفَطِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَ حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً وَ أَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً زَاجِرٌ عَنْ كُلِّ فَانٍ حَاضٌّ عَلَى كُلِّ حَسَنٍ لَا حَقُودٌ وَ لَا حَسُودٌ وَ لَا وَثَّابٌ وَ لَا سَبَّابٌ وَ لَا عَيَّابٌ وَ لَا مُغْتَابٌ يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ وَ يَشْنَأُ السُّمْعَةَ طَوِيلُ الْغَمِّ بَعِيدُ الْهَمِّ كَثِيرُ الصَّمْتِ وَقُورٌ ذَكُورٌ صَبُورٌ شَكُورٌ مَغْمُومٌ



بِفِكْرِهِ مَسْرُورٌ بِفَقْرِهِ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ رَصِينُ الْوَفَاءِ قَلِيلُ الْأَذَى لَا مُتَأَفِّكٌ وَ لَا مُتَهَتِّكٌ .

إِنْ ضَحِكَ لَمْ يَخْرَقْ وَ إِنْ غَضِبَ لَمْ يَنْزَقْ ضِحْكُهُ تَبَسُّمٌ وَ اسْتِفْهَامُهُ تَعَلُّمٌ وَ مُرَاجَعَتُهُ تَفَهُّمٌ كَثِيرٌ عِلْمُهُ عَظِيمٌ حِلْمُهُ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لَا يَبْخَلُ وَ لَا يَعْجَلُ وَ لَا يَضْجَرُ وَ لَا يَبْطَرُ وَ لَا يَحِيفُ فِي حُكْمِهِ وَ لَا يَجُورُ فِي عِلْمِهِ نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ وَ مُكَادَحَتُهُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ .

لَا جَشِعٌ وَ لَا هَلِعٌ وَ لَا عَنِفٌ وَ لَا صَلِفٌ وَ لَا مُتَكَلِّفٌ وَ لَا مُتَعَمِّقٌ جَمِيلُ الْمُنَازَعَةِ كَرِيمُ الْمُرَاجَعَةِ عَدْلٌ إِنْ غَضِبَ رَفِيقٌ إِنْ طَلَبَ.

لَا يَتَهَوَّرُ وَ لَا يَتَهَتَّكُ وَ لَا يَتَجَبَّرُ خَالِصُ الْوُدِّ وَثِيقُ الْعَهْدِ وَفِيُّ الْعَقْدِ شَفِيقٌ وَصُولٌ حَلِيمٌ خَمُولٌ قَلِيلُ الْفُضُولِ رَاضٍ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مُخَالِفٌ لِهَوَاهُ لَا يَغْلُظُ عَلَى مَنْ دُونَهُ وَ لَا يَخُوضُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ نَاصِرٌ لِلدِّينِ مُحَامٍ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ كَهْفٌ لِلْمُسْلِمِينَ لَا يَخْرِقُ الثَّنَاءُ سَمْعَهُ وَ لَا يَنْكِي الطَّمَعُ قَلْبَهُ وَ لَا يَصْرِفُ اللَّعِبُ حُكْمَهُ وَ لَا يُطْلِعُ الْجَاهِلَ عِلْمَهُ .

قَوَّالٌ عَمَّالٌ عَالِمٌ حَازِمٌ لَا بِفَحَّاشٍ وَ لَا بِطَيَّاشٍ وَصُولٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ بَذُولٌ فِي غَيْرِ سَرَفٍ لَا بِخَتَّالٍ وَ لَا بِغَدَّارٍ وَ لَا يَقْتَفِي أَثَراً وَ لَا يَحِيفُ بَشَراً رَفِيقٌ بِالْخَلْقِ سَاعٍ فِي الْأَرْضِ عَوْنٌ لِلضَّعِيفِ غَوْثٌ لِلْمَلْهُوفِ لَا يَهْتِكُ سِتْراً وَ لَا يَكْشِفُ سِرّاً كَثِيرُ الْبَلْوَى قَلِيلُ الشَّكْوَى إِنْ رَأَى خَيْراً ذَكَرَهُ وَ إِنْ عَايَنَ شَرّاً سَتَرَهُ يَسْتُرُ الْعَيْبَ وَ يَحْفَظُ الْغَيْبَ وَ يُقِيلُ الْعَثْرَةَ وَ يَغْفِرُ الزَّلَّةَ لَا يَطَّلِعُ عَلَى نُصْحٍ فَيَذَرَهُ وَ لَا يَدَعُ جِنْحَ حَيْفٍ فَيُصْلِحَهُ.

أَمِينٌ رَصِينٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ زَكِيٌّ رَضِيٌّ يَقْبَلُ الْعُذْرَ وَ يُجْمِلُ الذِّكْرَ وَ يُحْسِنُ بِالنَّاسِ الظَّنَّ وَ يَتَّهِمُ عَلَى الْعَيْبِ نَفْسَهُ يُحِبُّ فِي اللَّهِ بِفِقْهٍ وَ عِلْمٍ وَ يَقْطَعُ فِي اللَّهِ بِحَزْمٍ وَ عَزْمٍ لَا يَخْرَقُ بِهِ فَرَحٌ وَ لَا يَطِيشُ بِهِ مَرَحٌ مُذَكِّرٌ لِلْعَالِمِ مُعَلِّمٌ لِلْجَاهِلِ لَا يُتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةٌ وَ لَا يُخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ كُلُّ سَعْيٍ أَخْلَصُ عِنْدَهُ مِنْ سَعْيِهِ وَ كُلُّ نَفْسٍ أَصْلَحُ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ عَالِمٌ بِعَيْبِهِ شَاغِلٌ بِغَمِّهِ لَا يَثِقُ بِغَيْرِ رَبِّهِ غَرِيبٌ وَحِيدٌ جَرِيدٌ حَزِينٌ يُحِبُّ فِي اللَّهِ وَ يُجَاهِدُ فِي اللَّهِ لِيَتَّبِعَ رِضَاهُ وَ لَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ وَ لَا يُوَالِي فِي سَخَطِ رَبِّهِ مُجَالِسٌ لِأَهْلِ الْفَقْرِ

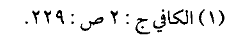
مُصادِقٌ لِأَهْلِ الصِّدْقِ مُؤَازِرٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ عَوْنٌ لِلْقَرِيبِ أَبٌ لِلْيَتِيمِ بَعْلٌ لِلْأَرْمَلَةِ حَفِيٌّ بِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ مَرْجُوٌّ لِكُلِّ كَرِيهَةٍ مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ هَشَّاشٌ بَشَّاشٌ لَا بِعَبَّاسٍ وَ لَا بِجَسَّاسٍ صَلِيبٌ كَظَّامٌ بَسَّامٌ دَقِيقُ النَّظَرِ عَظِيمُ الْحَذَرِ لَا يَجْهَلُ وَ إِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ يَحْلُمُ لَا يَبْخَلُ وَ إِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ عَقَلَ فَاسْتَحْيَا وَ قَنِعَ فَاسْتَغْنَى حَيَاؤُهُ يَعْلُو شَهْوَتَهُ وَ وُدُّهُ يَعْلُو حَسَدَهُ وَ عَفْوُهُ يَعْلُو حِقْدَهُ لَا يَنْطِقُ بِغَيْرِ صَوَابٍ وَ لَا يَلْبَسُ إِلَّا الِاقْتِصَادَ مَشْيُهُ التَّوَاضُعُ خَاضِعٌ لِرَبِّهِ بِطَاعَتِهِ رَاضٍ عَنْهُ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ نِيَّتُهُ خَالِصَةٌ أَعْمَالُهُ لَيْسَ فِيهَا غِشٌّ وَ لَا خَدِيعَةٌ نَظَرُهُ عِبْرَةٌ سُكُوتُهُ فِكْرَةٌ وَ كَلَامُهُ حِكْمَةٌ مُنَاصِحاً مُتَبَاذِلًا مُتَوَاخِياً نَاصِحٌ فِي السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ لَا يَهْجُرُ أَخَاهُ وَ لَا يَغْتَابُهُ وَ لَا يَمْكُرُ بِهِ وَ لَا يَأْسَفُ عَلَى مَا فَاتَهُ وَ لَا يَحْزَنُ عَلَى مَا أَصَابَهُ وَ لَا يَرْجُو مَا لَا يَجُوزُ لَهُ الرَّجَاءُ وَ لَا يَفْشَلُ فِي الشِّدَّةِ وَ لَا يَبْطَرُ فِي الرَّخَاءِ يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَ الْعَقْلَ بِالصَّبْرِ تَرَاهُ بَعِيداً كَسَلُهُ دَائِماً نَشَاطُهُ قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلًا زَلَلُهُ مُتَوَقِّعاً لِأَجَلِهِ خَاشِعاً قَلْبُهُ ذَاكِراً رَبَّهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْفِيّاً جَهْلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَزِيناً لِذَنْبِهِ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ كَظُوماً غَيْظَهُ صَافِياً خُلُقُهُ آمِناً مِنْهُ جَارُهُ ضَعِيفاً كِبْرُهُ قَانِعاً بِالَّذِي قُدِّرَ لَهُ مَتِيناً صَبْرُهُ مُحْكَماً أَمْرُهُ كَثِيراً ذِكْرُهُ يُخَالِطُ النَّاسَ لِيَعْلَمَ وَ يَصْمُتُ لِيَسْلَمَ وَ يَسْأَلُ لِيَفْهَمَ وَ يَتَّجِرُ لِيَغْنَمَ لَا يُنْصِتُ لِلْخَبَرِ لِيَفْجُرَ بِهِ وَ لَا يَتَكَلَّمُ لِيَتَجَبَّرَ بِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ.

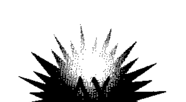
نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ فَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ الَّذِي يَنْتَصِرُ لَهُ بُعْدُهُ مِمَّنْ تَبَاعَدَ مِنْهُ بُغْضٌ وَ نَزَاهَةٌ وَ دُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَ رَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ تَكَبُّراً وَ لَا عَظَمَةً وَ لَا دُنُوُّهُ خَدِيعَةً وَ لَا خِلَابَةً بَلْ يَقْتَدِي بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ فَهُوَ إِمَامٌ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْبِرِّ.

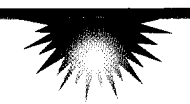
قَالَ: فَصَاحَ هَمَّامٌ صَيْحَةً ثُمَّ وَقَعَ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ وَ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوْعِظَةُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ إِنَّ لِكُلٍّ أَجَلًا لَا يَعْدُوهُ وَ سَبَباً لَا يُجَاوِزُهُ فَمَهْلًا لَا تُعِدْ فَإِنَّمَا نَفَثَ عَلَى لِسَانِكَ شَيْطَانٌ.[1] انتهى الحديث الشريف صلى الله على قائله.


(١) الكافي ج: ٢ ص: ٢٢٩.





بالعمل تصفو القابلية

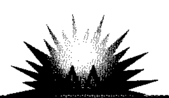
وهذه الأوصاف هي علامات لإيمان المؤمن العارف بالله ﷻ وبهذه الأوصاف والأعمال تصفو قابليته وتزكو سريرته ويشرق على قلبه نور اليقين وعلى فؤاده نور المحبة وعلى صدره نور العلم وكلما ازداد حبا ويقينا وعلما ازداد عملا وتوجها وإقبالا فازداد استنارة واستضاءة فتحصل له قابلية أن يكون بابا للإمام عليه السلام ونائباً عنه على الخاص والعام ومرجعاً في كلي أمورهم وجزئيها وأمينا لدفع حقوقه إليه.وهو المنار مطلع الأنوار القرية الظاهرة للسير إلى القرى المباركة وهو الباب الأعظم والسبيل الأقوم والنور المعظم طاعته واجبة على كل مسلم ومخالفته محرّمة على كل مؤمن وهو النائب العام الذي أشار إليه مولانا الصادق عليه السلام :(انْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ مِنْكُمْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا وَ نَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَ حَرَامِنَا وَ عَرَفَ أَحْكَامَنَا فَارْضَوْا بِهِ حَكَماً فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِماً فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ فَإِنَّمَا بِحُكْمِ اللَّهِ قَدِ اسْتَخَفَّ وَ عَلَيْنَا رَدَّ وَ الرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ)[1].

معنى معرفة الأحكام

وقوله عليه السلام (عرف أحكامنا) الجمع المضاف يفيد العموم الاستغراقي فيكون المراد معرفة جميع أحكامهم ولا ريب أن لهم سلام الله عليهم لكل شيء حكم لأن الوجود كله إنما بني على الحق وفي مقابله باطل وعند المزج في هذه الدنيا حصل الخلط بينهما فلهم عليهم السلام بيان لكل شيء من حق وباطل وهو قوله عليه السلام (ما من شيء إلا وفيه كتاب وسنة)[2].

فإذا عرف جميع الأحكام ونظر في الحلال والحرام راوياً حديثهم مقتفيا أثرهم مقبلا إليهم قاصراً نظره فيهم معرضا عن كل ما سواهم متجنبا عن كل شيء لا ينسب إليهم مفوضا أمره إليهم معتمداً في كل الأحوال عليهم سائلا من الله التوفيق بهم فهو النائب والباب والشيعة والحجاب وهو المرجع للرعية وهو الحاكم في البرية فإذا حكم بحكم فهو منهم فمن ردّ عليه فقد ردّ عليهم ومن رد عليهم

(١) الكافي ج ٧ ص ٤١٢ .
(٢) الكافي ج ١ ص ٥٩ .



فقد رد على الله وهو على حد الشرك بالله وهذا في كل شيء من العلم الظاهري والباطني لأنه لمّا استنارت قابليته تحملت لظهورات المثال الملقى في هويته وتلك الظهورات ليست عند من كثفت قابليته وخبثت أعماله فإذا تكلم هذا الشخص بشيء من الأسرار يصدق ولا ينكر عليه لأنه لا يقول شيئا يخالف ما عليه عامة المسلمين الموحدين وإن لم يدركوا وجه المطابقة كما أن مولانا وسيدنا القائم عجل الله فرجه يخبر أصحابه بكلمة فيتفرقون عنه عليه السلام سوى الوزير وأحد عشر نقيبا فإذا تفرقوا وجالوا الأرض ولم يجدوا ملجأً غيره يأتوه مسلمين قابلين[1] لعلمهم بأنه عليه السلام معصوم لا يخطأ.

فكذلك إذا وجدت شيعتهم يتخلقون بأخلاقهم ويتأدبون بآدابهم ولا يخالفونهم بأقوالهم وأعمالهم فتظهر فيهم نقطة مثالهم فيصدرعنهم مثل أقوالهم وأعمالهم في مقام (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك) وهذا التصديق والإذعان لا يكون إلا بعد الاختبار بالعلامات المذكورة مع أن المخلصين من الشيعة لم يظهر منهم ما هو صريح مخالفة عقول الخلق ولا يظهرون الحكمة لغير أهلها كيف وإن إذاعة سرهم عليهم السلام من أفسق الفسوق وأفجر الفجور وهؤلاء الأبواب الأنجاب لا يتجاهرون إلى ذلك.

مخالفة الأبواب كفر ونفاق

وبالجملة : فهؤلاء الأبواب حكمهم حكم الأبواب المخصوصين المنصوصين في كل باب ومخالفتهم مخالفة أولئك تخرج المخالف عن حد الإيمان وتدخله في حد الكفر والنفاق ويكون حال المخالفين لهم في الغيبة الكبرى كحال المخالفين في الغيبة الصغرى فيكون حالهم حال الشلمغانية والحلاجية والنميرية والشريعية والكرخية وأمثالهم من الكفرة اللئام والفجرة الخارجين من دين الإسلام لمخالفة أولئك الأعلام.

(١) كمال الدين ص ٥٨ عن المفضل بن عمر قال قال أبو عبد الله عليه السلام (كأني أنظر إلى القائم ع على منبر الكوفة و حوله أصحابه ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدر و هم أصحاب الألوية و هم حكام الله في أرضه على خلقه حتى يستخرج من قبائه كتابا مختوما بخاتم من ذهب عهد معهود من رسول الله ص فيجفلون عنه إجفال الغنم البكم فلا يبقى منهم إلا الوزير و أحد عشر نقيبا كما بقوا مع موسى بن عمران ع فيجولون في الأرض و لا يجدون عنه مذهبا فيرجعون إليه و الله إني لأعرف الكلام الذي يقوله لهم فيكفرون به).





وهذا الاختبار لم يزل قائماً حتى يكون الأمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المتقدم عن ابن نباته يفنيهم الاختبار والامتحان (حتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا كالكحل في العين و الملح في الزاد). فهم الذين لا تضرهم فتنة ولا تؤثر فيهم وقوع المحنة .

فبمخالفة هذه الأبواب وبالإعراض عنهم بسوء القول فيهم يخرجون من هذا الدين أفواجاً أفواجاً ثم لا يعودون أبداً.

وهذا هو الطريق الواضح والمنهج اللايح والمتجر الرابح نسأل الله الإعانة وحسن الخاتمة والتسديد والتأييد حتى لا نسلك مسلك أهل الغواية وإياه نسأل الهداية ومنه نطلب الفوز بالبداية والنهاية.

تذكرة: أوضح لك المقام بكلمة واحدة لوضوح الاستدلال فنقول إن باب كل شيء لا يذكر فيه إلاّ ذلك الشيء وإلاّ لم يكن باباً ولما كان النبي صلى الله عليه وآله باب الله ووجه الله وجناب الله صار لا يذكر إلا الله ولا يفعل إلا لله ولا يذكر عنده إلاّ الله فالله سبحانه نُصْبَ عينه قائماً راكعاً ساجداً راكباً ماشياً ذاهباً آئباً في كل الأحوال وجميع الحالات والصفات فلا تجد عنده إلاّ ذكر الله فبذلك عرفنا أنه باب الله وحجاب الله لأن الباب طريق وسبيل إلى المقصود فلا يقصد ولا يطلب إلاّ المقصود .

وأما الإمام عليه السلام فحيث كان باب النبي صلى الله عليه وآله فلا يذكر عنده إلا النبي صلى الله عليه وآله المذكّر لله بجميع أحواله وأطواره وحركاته ذاكر للنبي صلى الله عليه وآله مقبل إليه متوجه إليه ناظر إليه متكلم عنه.

وبالجملة :كل من حضره ورآه علم أنه نائب وباب للنبي صلى الله عليه وآله لا مستقل بنفسه وكذلك الإمام بعد الإمام والولي بعد الولي فكل لاحق مغمور في ذكر سابقه والسابق عليه فلا تجد عنده إلاّ ذكره ولا ترى عنده إلاّ وصفه فعلمنا بذلك أنه بابه وجنابه.

وكذلك باب الإمام عليه السلام يجب أن لا يذكر عنده إلا فضل الإمام ولا ينشر إلا مناقبه ولا يبين إلا أحكامه ينسب إليه نفسه ويتوجه إليه بسره وعلانيته فلا يذكر سواه ولا يطلب غيره ولا يقصد سواه مغمور في طاعته متجنب عن معصيته نافذ فيه حكمه ماض أمره .



وبالجملة :إذا أتيته لم تجد عنده إلا وصف الإمام عليه السلام ونعته وفضله ومناقبه وشرح مقاماته وفضائله وما جعله الله سبحانه له من علو المراتب وسمو الدرجات والمناقب وذكر ما استتر من فضائله وبيان ما خفي من مناقبه .

وبالجملة : فلا تجد عنده غير ذكر إمامه ويكون حاله مع إمامه عليه السلام كما قال الشاعر :

إليكم وإلا لا تشد الركائب
ومنكم وإلا لا تنال الرغائب
وفيكم وإلا فالحديث مخلق
وعنكم وإلا فالمحدث كاذب

فإذا وجدته كما ذكرنا ورأيته كما وصفناه من أن الإمام عليه السلام أظهر عنده من نفسه له فاعلم يقيناً أنه هو الباب لذلك الجناب وأنه المرجع لأولي الأفئدة والألباب.

وأما إذا رأيته لا يذكر عنده الإمام عليه السلام إلا أحياناً أو لغرض يرجع إلى نفسه فإذا ذُكِرَ عنده شيء من فضائله عليه السلام إما أن ينكر عليه أو ينهى الخوض فيه والتوغل في البحث عنها أو يقول التشاغل في ذلك ليس بتكليفكم ولستم مكلفين بذلك .

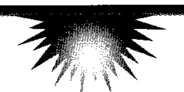
وبالجملة : يحيد عن ذكر أهل البيت عليهم السلام حيداً ويميل عنهم ميلاً ، وإذا وجد شيئاً يدل على انحطاط في مقامهم أو تسافل في مرتبتهم من آية أو حديث يجعله أصلاً محكماً ويجعل ما يدل على علو مقامهم ومرتبتهم متشابهاً مأولاً .

فإذا رأيته هكذا فاعلم أنه ليس بنائب بل هو عن طريق الحق حاجب وحاله حال أولئك المذمومين من النواب المذكورين على ما وصفنا لك سابقاً .

وقد ذكرت حقيقة الحال ولا يسعني التصريح والإفصاح بأزيد وأكثر مما ذكرنا فإن بقي شيء فلا يبعد عن درك الفطن اللبيب اللوذعي الألمعي إذ لا كل ما يعلم يقال ولا كلّما يقال حان وقته ولا كلّ ما حان وقته حضر أهله ولو كان قبل هذا الوقت ما تكلمت بهذا الكلام وما أفصحت عن ذي المرام ولكن لكل أجل كتاب.

فتبين لك مما ذكرنا وبينا معرفة أحوال الفرقة المحقة وأنهم يختلفون وأنهم يختبرون





وأنهم يفتنون وأنهم يمخضون مخض السقا حتى لا يبقى إلا القليل الذي أشار إليه سبحانه بقوله ﴿وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ ﴾[1] .﴿وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[2] وهم الذين لا تضرهم الفتنة ولا تغيرهم المحنة هم كالجبل لا تحركهم العواصف ولا تزيلهم القواصف وهم الشيعة المخلصون والأمناء الممتحنون والأبواب الممدوحون فاستمسك في وقت الحيرة بمن عنده تلك العلامات المذكورة إن أردت النائب العام وإلا ففي المسائل التكليفية الفرعية فإلى الذي اجتمعت عنده شرائط الاجتهاد وقواعد الاستنباط من معرفة العلوم المذكورة من كتب الأصول وحصول الملكة الإلهية والقوة القدسية للتمكن عن رد الفروع على الأصول بشرط أن لا يكون معرضاً عن أهل البيت عليهم السلام بمعنى أنه يسلّم بجميع ما يرد عليه من فضائلهم ومقاماتهم ومراتبهم إلاّ ما لا يناسب مقام الإمكان كالقدم والاستقلال والاعتزال وكون الإمام أفضل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو يساويه. ويكون عادلاً وثقة ورعاً زاهداً عابداً وقوراً ذكوراً شكوراً .

فإذا وجدت شخصاً عالماً بهذه الصفة قلّده في الأحكام الفرعية خاصة وقوله ليس بحجة في غير ما يتعلق بالفقه والذي يرجع إليه وأما فيما سوى ذلك فلا حجية في قوله ولا اعتماد على فتواه.

وأما قول النائب العام فهو حجة على الخلق في جميع الأشياء لقوله عليه السلام (وأما الحوادث الواقعة ...إلخ) فابن على ما ذكرنا أمرك واخرج من الحيرة وكن لله من الشاكرين ولنعمائه من الذاكرين والحمد لله رب العالمين .

تنبيه : وإذ قد علمت وجوب الاختبار والامتحان فاعلم أنه لا يكون إلا بالإتيان ببعض المتشابهات التي بيانها ودليلها ظاهر في الكتاب والسنة ومذهب الفرقة المحقة ولكنها في باديء النظر فيها بعض الغموض كقوله تعالى ﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[3] وقوله تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[4] ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[5]

---

(١) سبأ ١٣ .
(٢) هود ٤٠ .
(٣) المدثر ٣٠
(٤) الفتح ١٠ .
(٥) التوبة ٤٣ .



﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ﴾[1] وأمثالها فبالإتيان بالمتشابه يحصل الاختبار ويمتاز الفجار من الأخيار وهو قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[2] .

فالباب للإمام عليه السلام في الغيبة الصغرى اختباره للناس وافتتانه لهم إنما يكون بذكر المناقب والفضائل التى هي مرتفعة في الجملة عن معرفة العوام ويدل عليها صحيح المذهب والقرآن و أحاديث أمناء الله الملك الديان فمن قَبِلَ وسلَّمَ وقال أن إمامي أعلى وأفضل فهو المسلم المؤمن الممتحن ومن أبى واستكبر وشك وارتاب ولم يرض بنشرها بحجة أنها من الأسرار التى لا يجوز إذاعتها فذلك منكر خارج لأن الإسرار للخوف من الأغيار ولعدم نيل الإدراك فعلى هذا يلزم أن الله سبحانه قد أفشى السر في قوله تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وأمثالها والنبي والأئمة عليهم السلام قد أفشوا السر في الأدعية والزيارات وهذا لا يتفوه به مؤمن عاقل .

فإذا كان كلما لا يفهمه العوام سراً ينسد باب العلم وباب التعليم والتعلم واستزادة العلم والمعرفة وتصنيف الكتب وذكر المسائل الغامضة وذلك في البطلان بمكان .

فتبين لك أن هذا القول وأمثاله ليس إلا للتمويه والتلبيس ووقع الاختبار وخرج بذلك من كان من الأغيار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

قال سلمه الله تعالى : وألتمس أيضاً من جنابكم أن تثبت ما أنتم عليه وتنفي جميع ما عداه وأن يكون النفي والإثبات بأدلة عقلية يقبلها كل عاقل منصف ونقلية مأخوذة من الكتاب والسنة ولو سويته كتاباً ليكون تذكرة لأولي الألباب مفيداً لجملة الإخوان وأهل الإيمان والأصحاب ، جزاك الله ألف خير وإن تعذرت لعدم الفرصة لذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ولا يسقط الميسور بالمعسور شعر :

فـديـتـك عـجِّـل فـالـقـلـوب مـريـضـة

ولـيـس لهـا إلاك يـا خـير مـنيـتي

والحقير إنشاء الله تعالى من المؤمنين ولكني ذكرت هذا كما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[3] الآية .وعن موسى عليه السلام ﴿قال

(١) الفتح ٢ .
(٢) آل عمران ٧ .
(٣) البقرة ٢٦٠ .



رَبِّ أَرِني أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَراني وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾[1] الآية. فجازني كذلك وأحسنَ كما أحسن الله اليك ...إلى آخر كلامه زيد في إكرامه وإعظامه .

أقول : أما الذي نحن عليه فهو الذي عليه جميع الشيعة الموحدين من الاثني عشرية من المؤمنين الممتحنين .

ما يعتقده المصنف ﷺ في التوحيد

أما في (التوحيد) فنقول أن الله سبحانه واحد في ذاته يعني ليس له شريك في القِدَم ولا في الوجوب ولا في الوجود وتوحيده الذاتي عين ذاته سبحانه ، وهو سبحانه واحد في الصفات بمعنى أنه لا شريك له في صفة من صفاته في علمه وفي قدرته وفي حياته وفي سمعه وفي بصره وسائر صفاته الذاتية .

وصفاته تعالى عين ذاته بلا فرق بحال من الأحوال فعلمه ذاته وقدرته ذاته وسمعه وبصره ذاته وحياته ذاته بلا فرق لا في المعنى ولا في المفهوم ولا في المصداق وهو أحدي الذات أحدي المعنى لا كثرة في ذاته ولا في صفاته يعلم بما يسمع به ويسمع بما يبصر به ويبصر بما يقدر به من غير اختلاف جهة وجهة وكيف وكيف وحيث وحيث .

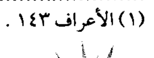
ونعتقد أن الله سبحانه عالم بكل شيء من الكليات والجزيئات والذاتيات والعرضيات والمجردات والماديات والعلويات والسفليات وكل شيء لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وعلمه قبل الخلق وبعد الخلق ومع الخلق لا يتغير علمه ولا يتجدد ولا يتبدل ولا يختلف .

والعلم الحادث يراد به مخلوقاته مثل (اللوح المحفوظ) و(القلم) و(الإمام) عليه السلام و(القرآن).

فإذا قلت: إن الإمام عليه السلام عيبة علم الله فهل يراد به عيبة ذات الله ؟

وقد عنون في (الكافي) باباً في أن لله سبحانه علمين علم علّمه أولياءه ورسله وعلم استأثر به في علم الغيب عنده فهذا الذي علمه أولياءه من علمه فهل هو ذاته أو غيره؟ فالأول محال بضرورة الإسلام فوجب أن يكون غيره وكلما هو غير الله

(١) الأعراف ١٤٣ .



فهو حادث مخلوق وهذا هو العلم الحادث وليس معناه أنه لم يعلم ثم علم ولكنه تعالى سمّى خلقاً من مخلوقاته علماً له .

ونعتقد أن الصفة على قسمين صفة ذاتية وصفة فعلية فالأولى هي ذاته وهي تثبت له سبحانه ولا يثبت له ضدها كما تقول أن الله عالم ولا تقول أنه جاهل وتقول أنه بصير ولا تقول أنه أعمى وتقول أنه سميع ولا يصح أن تقول أنه أصم وتقول أنه حي ولا تقول أنه ميت .

وأما الصفة الفعلية فهي التى تثبت وتنفى ويوصف الله بها وبضدها كما تقول أراد شاء وكره أحيى وأمات أعطى ومنع أنجى وأهلك تفضل وانتقم خلق ولم يخلق ورزق ولم يرزق وأمثالها من الصفات التي تثبت وتنفى .

فلو كانت هي الذاتية لزم التغيير والانعدام لأن الصفة الذاتية عين ذاته تعالى فبثبوتها ثبوت الذات وبانتفائها انتفاؤه فلا يكون المثبت المنفي الموجود المعدوم واجباً قديماً .

ونعتقد أنه سبحانه واحد في أفعاله بمعنى أنه لا شريك له فيها ولا يشاركه في فعله أحد ولا يؤازره أحد ولا يعينه أحد ولا يحتاج في إحداث خلق من مخلوقاته ولا مدخلية لأحد في إحداث مصنوعاته بل هو سبحانه المتفرد في الخلق والرزق والحياة والموت والمنع والعطاء وهو الفاعل وحده لا بمشاركة ولا بمؤازرة ولا التفويض إلى خلق من مخلوقاته.

فالذي يعتقد أن محمداً وعلياً والأئمة بأجمعهم أو كل واحد منهم عليهم السلام خالقون أو رازقون يحيون أو يميتون بالاستقلال أو بالشركة أو بالتفويض كتفويض الموكل أمره إلى وكيله في إجراء ذلك الفعل أو كالمولى إلى عبده في فعل من الأفعال فإن ذلك عندنا كافر كفر الجاهلية الأولى وكذلك لو قال بمدخلية الملائكة أو النجوم أو الكواكب في إحداث شيء من الأشياء وموجود من الموجودات .

ولكن الله سبحانه جعل العالَمْ عالم الأسباب وأبى أن يجري فعله إلا بالأسباب جعل الله سبحانه الأشياء بعضها سبباً للبعض كما جعل المطر من أسباب الزرع والطعام والشراب من أسباب حفظ البدن والرحم من أسباب تربية الجنين والأب



والأم من أسباب تخلّق الولد وتكونه في هذه الدنيا وهكذا جميع الأشياء بروابطها وعللها ومعلولاتها .

وقد جعل الله سبحانه محمداً وآله سلام الله عليهم أجمعين هم السبب الأعظم لوجود هذا العالم كالملائكة المدّبرات والمقسّمات والحافظات والمعقبات وغيرها .

ونعتقد أنه تعالى واحد في عبادته وأنه المعبود وحده لا يجوز لأحد أن يقصد غيره تعالى في العبادة فمن فعله إن كان عن اعتقاد فذلك كفر كعبدة الأصنام الذين عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى أو عن غير اعتقاد فإن ذلك فسق مبطل للعمل كأهل الرياء الذين يوقعون العبادة لأجل ملاحظة الغير.

وكذلك لو توجه بالعبادة إلى أحد من الأئمة عليهم السلام فلا تصح عبادته ولا تقبل بحال من الأحوال وطور من الأطوار. ومن اعتقد أن الضمائر القرآنية الراجعة إلى الله ترجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو إلى أحد من الأئمة عليهم السلام فذلك ضال مُضل كافر مفتري فمن يزعم أن الضمير بقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يراد به أمير المؤمنين وهكذا غيره من سائر الخطابات الإلهية التي في القرآن وفي غيره لو أرجعها إلى أحد من المخلوقين لا سيما أمير المؤمنين عليه السلام كل ذلك زخرف من القول وزورا.

وكذلك كل من يقول أن المراد من سورة التوحيد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ... إلخ﴾ هو أمير المؤمنين فهو كافر بالله العظيم وكذا من يقول أن أمير المؤمنين لم يلد ولم يولد وكذا سائر ما كان من هذا القبيل فكذلك كل ذلك زور وافتراء وكذب وتلبيس .

النبوة

وأما في النبوة فنعتقد أن الأنبياء كلهم مبعوثون من قبل الله سبحانه طيبون طاهرون معصومون ولا تحصل منهم العيوب هم المعصومون الذين تولى عصمتهم وطهارتهم علاّم الغيوب وأن الخمسة منهم أولوا العزم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وستة منهم أولوا الشرائع وهم هذه الخمسة بإضافة آدم عليه السلام وأن الشرائع الخمس منسوخات سوى الشريعة السادسة.

ونعتقد أن الشريعة السادسة حاملها محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنها ناسخة لجميع الشرائع غير منسوخة أبداً وأن تلك الشرائع كلها مقدمات لظهور شريعته صلى الله عليه وآله وسلم كما أن المراتب



الخمس التي هي النطفة والعلقة والمضغة والعظام واكتساء اللحم مقدمات لظهور الجسم الاعتدالي الذي هو حامل للروح وأنه ﷺ سيد الأولين وسيد الآخرين وأنه خير خلق الله أجمعين وأنه ﷺ أول مخلوق خلقه الله تعالى وأول حادث صنعه الله وأول موجود أوجده الله لم يسبقه في الوجود سابق ولا يلحقه في الفضل لاحق ولا يطمع في إدراك نوره طامع وأنه صلى الله عليه وآله قد خلقه الله قبل الخلق وقبل الكون والمكان وقبل الزمان وقبل الابتداع وقبل الاختراع. وأقامه ظلاً ونوراً في حجاب القدرة، ثم غمسه في الأبحر الاثنى عشر وألبثه في كل بحر مدة معينة.

ثم بعد تمام السباحة في الأبحر الاثنى عشر غمسه في عشرين بحراً وألبثه في كل بحر ما شاء الله ثم بعد إتمامه السباحة في الأبحر العشرين أقطر منه مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة فخلق من كل قطرة روح نبي من الأنبياء. فتنفست أرواح الأنبياء فخلق من تنفسها أرواح الأوصياء[1].

ونعتقد أنه ﷺ أتى بالمعجزات البيّنات وخوارق العادات ما تصدق به نبوته وتظهر به شريعته.

فمنها: القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهو أكبر المعجزات وأبين الآيات وهي الباقية بعد محمد ﷺ ما دامت نبوته التي لا تنقطع ابداً ولا تبطل سرمداً.

(١) في بحارالأنوار ج ٢٥ ص ٢٥ عن جابر بن عبد الله قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أول شيء خلق الله تعالى ما هو فقال نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساما فخلق العرش من قسم و الكرسي من قسم و حملة العرش و خزنة الكرسي من قسم و أقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقساما فخلق القلم من قسم و اللوح من قسم و الجنة من قسم و أقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء و الشمس من جزء و القمر و الكواكب من جزء و أقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء و العلم و الحلم من جزء و العصمة و التوفيق من جزء و أقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور و قطرت منه مائة ألف و أربعة و عشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي و رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء و الشهداء و الصالحين

وفي بحارالأنوار ج١٥ ص ٢٩ قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثم إن الله تعالى خلق من نور محمد ص عشرين بحرا من نور في كل بحر علوم لا يعلمها إلا الله تعالى ثم قال لنور محمد ص انزل في بحر العز فنزل ثم في بحر الصبر ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوفاء ثم في بحر الحلم ثم في بحر التقى ثم في بحر الخشية ثم في بحر الإنابة ثم في بحر العمل ثم في بحر المزيد ثم في بحر الهدى ثم في بحر الصيانة ثم في بحر الحياء حتى تقلب في عشرين بحرا فلما خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى يا حبيبي و يا سيد رسلي و يا أول مخلوقاتي و يا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر فخر النور ساجدا ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف و أربعة و عشرين ألف قطرة فخلق الله تعالى من كل قطرة من نوره نبيا من الأنبياء فلما تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمد ص كما تطوف الحجاج حول بيت الله الحرام و هم يسبحون الله و يحمدونه و يقولون سبحان من هو عالم لا يجهل سبحان من هو حليم لا يعجل سبحان من هو غني لا يفتقر



ومنها: شق القمر[1] .ومنها: قلب العصا ثعباناً.ومنها: المعراج فقد عرج بجسمه الشريف بل ببشريته بل بكثافة بشريته وبثيابه ونعليه إلى أن صعد السموات والكرسي والعرش وخرق الحجب والسرادقات. فالذي يعتقد أنه ﷺ عرج بروحه أو بجسم مثالي أو بجسم آخر غير الذي في الدنيا فقد كذب وافترى وضل وغوى وكان من الأخسرين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون.

الإمامة

وأما في الإمامة فنعتقد أن كل نبي لما كملت أيامه ونفدت حياته عيّن له وصياً قائماً مقامه من الله سبحانه وتعالى يقوم بأمره في رعيته ويحكم بعدله في أمته.

ونعتقد أن رسول الله ﷺ قد أوصى إلى أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه خليفة لنفسه على أمته يوم (غدير خم) وأمر الناس أن يسلمّوا عليه بإمرة المؤمنين.

ونعتقد أن الله تعالى جعل الإمامة كلمة باقية في عقب أمير المؤمنين عليه السلام ولا تزال الدنيا إلا وفيها إمام في دولة محمد ﷺ من ذرية أمير المؤمنين عليه السلام فتدوم الدنيا بدوامهم وتضمحل وتفسد إذا انتقلوا عنها فهي بهم باقية وعنهم مستمدة وهم حاملوا عطاء الله الذي قال تعالى﴿كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[2] .

ونعتقد أنهم ورسول الله ﷺ من نور واحد وطينة واحدة ورتبة واحدة إلا أن لرسول الله ﷺ الفضل السابق كفضل القلب على الأعضاء والجوارح.

ثم في الفضل أمير المؤمنين عليه السلام كفضل الصدر على باقي الجوارح. ثم الحسن ثم الحسين عليهما السلام ثم القائم عليه السلام ثم الأئمة الثمانية عليهم السلام ثم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام .

---

(١) في تفسير القمي ج : ٢ ص : ٣٤١ حبيب بن الحسن بن أبان الآجري قال حدثني محمد بن هشام عن محمد قال حدثني يونس قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام اجتمعوا أربعة عشر رجلا أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذي الحجة، فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله ما من نبي إلا و له آية فما آيتك في ليلتك هذه فقال النبي ص ما الذي تريدون فقالوا إن يكن لك عند ربك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فهبط جبرئيل ع و قال يا محمد إن الله يقرئك السلام و يقول لك إني قد أمرت كل شيء بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين فسجد النبي ص شكرا لله و سجد شيعتنا، ثم رفع النبي ص رأسه و رفعوا رءوسهم، ثم قالوا يعود كما كان فعاد كما كان، ثم قالوا ينشق رأسه فأمره فانشق فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكرا لله و سجد شيعتنا، فقالوا يا محمد حين تقدم سفارنا من الشام و اليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا أنه من ربك و إن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنه سحر سحرتنا به، فأنزل الله اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ إلى آخر السورة .

(٢) الإسراء ٢٠ .



وأما فضل أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. وأما فضل القائم عجّل الله فرجه من قول النبي صلى الله عليه وآله تاسعهم قائمهم أفضلهم. وأما فاطمة عليها السلام بعدهم بمقام الذكورة والأنوثة في كل رتبة بحسبها.

وفاطمة عليها السلام أفضل من جميع الأنبياء والرسل وجميع الخلق سوى الأئمة الاثنى عشر ولكنها منهم إنها ﴿كَلاَّ وَ الْقَمَرِ * وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ * إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾[1].

ونعتقد أَن الأئمة عليهم السلام مبعوثون على كل المكلفين ممن يصح أن يقع عليه التكليف كائناً ما كان وبالغاً ما بلغ.

وأنهم حجج الله على الخلق وأن الله تعالى لم يفوض إليهم أمر خلقه بل هم ﴿عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

وكل من ادعى فيهم خلق بمعنى أن يدّعي فيهم الاستقلال أو الشركة مع الله أو تفويض الأمور إليهم باعتزال الله أو يعتقد أنهم أفضل من رسول الله أو يساوونه في جميع المزايا والأحوال فذلك هو الغلو والارتفاع الذي معتقده كافر بالله.

ونعتقد أن من نزَّلهم عن مراتبهم التي رتبّهم الله فيها وأنكر فضلهم وجعل أحداً من المخلوقين أولى منهم في فضيلة أو كرامة أو ساوى غيرهم بهم فذلك ملعون منافق خارج عن مذهب الحق وليس له طريق إلى الصدق.

ونعتقد أن الحسين بن أمير المؤمنين عليه السلام قد قُتِلَ مظلوماً سعيداً شهيداً لحكم ومصالح وأمور استحكمت قواعدها من عالم الذر الأول على ما فصّلت وشرحت في رسالتي (أسرار الشهادة). ومن ادّعى أنه لم يقتل ولكن شبه للناس فذلك كافر ملعون رجس نجس لا يكلمه الله يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب عظيم لأنه مكّذب لله ولرسل الله ولرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين ولسائر الأئمة عليهم السلام.

(١) المدثر ٣٢ - ٣٦.
(٢) الأنبياء ٢٦ -٢٩.





المعاد

وأما في المعاد فنعتقد ان الله سبحانه يحشر الأجساد والأرواح ويجعل الأرواح في الأجساد الدنيوية الموجودة في الدنيا المحسوسة المرئية الملموسة فيبعثها يوم القيامة ويجرى عليها الثواب والعقاب ومن ادّعى أن هذا البدن الدنياوي الموجود في الدنيا لن يبعث يوم القيامة فذلك كافر ملعون مردود. بل المحشور يوم القيامة فهو هذا البدن الدنياوي لكنه على صور مختلفة من حسن وقبح وغير ذلك فيقفون في القيامة تحت منبر الوسيلة وعلى الصراط وعند الميزان وسائر المواقف حتى يؤول أمرهم أما إلى النعيم أو إلى الجحيم نستجير بالله منها ومن عذابها ونكالها .

العلماء والمجتهدين

ونعتقد في العلماء المجتهدين أصحابنا الماضين المرضيين من أهل الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى من مبدئها إلى منتهى زماننا هذا كالمفيد وعلم الهدى والشيخ الطوسي وابن طاووس والمحقق والعلامة وابن البراج والشهيدين وسائر علمائنا الفقهاء هم أساطين الدين والحكّام على المؤمنين وأن طاعتهم واجبة على مقلديهم ولا يعذرون بعدم التقليد ويجب على الجاهل أن يسأل عن العالم ويأخذ دينه منه ويعتمد في علمه عليه وإلا كان عمله باطلاً وسعيه غير مشكور.

طريقته في الاستنباط

وإن عملنا في كيفية استنباط الأحكام الشرعيه الفرعية عن أدلتها التفصيلية ما عليه أصحابنا المجتهدون على النهج المقرر في الكتب الأصولية.

فهذا الذي ذكرناه لك هو الذي نحن عليه وهذه الطريقة كل من أنكرها خارج عن الدين مكذّب لما أتى به سيد المرسلين عليه وعلى آله صلوات المصلين أبد الآبدين ودهر الداهرين .

وأما قولك أدام الله تسديدك أن تثبت ما أنتم عليه وتنفي جميع ما عداه ، فجوابه أن الذي نحن عليه فهو الذي ذكرناه وإثباته معلوم بالضروره من الدين وإنكار شيء من هذه المذكورات إما إنكار للضروري أو للوازمها .

وأما نفي جميع ما عدى ما نحن فيه فاعلم أن ما عدى ما نحن عليه من الأمور

التي ذكرناها من العقائد لا شك أنه كفر إذ ما بعد الحق إلا الضلال. فإن الذي يخالفنا إن كان يرى بطلان ما ذكرناه من العقائد فلا ريب أن ذلك كافر بالله ومكذّب بهذا الدين في أغلب الأحوال. وإن كان مصّدقا بهذه العقائد فأي مخالفة له معنا ؟ وأي نزاع بيننا ؟

فإن كانوا يقولون أنك كاذب في هذه الدعوى فقلبك يخالف لسانك نقول لهم هذا تكذيب لقول الله ﴿وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾[1] .

ثم إن هؤلاء يزعمون أنهم رأوا منا ومن شيخنا أعلى الله مقامه عبارات تنافي هذه العقائد المذكورة وقد ثبت عندهم بضرورة الإسلام أن العبارات إذا ما صدقها الناقل فظاهر مدلولها بل إنما قصد منها معنى حسبما يعرفه أهل الفن والعلم من المعاني الحقة يجب تصديقه ولا يجوز تكذيبه لأن مراد المتكلم إنما يعرف من بيانه والكلام وسيلة لمن لا يحضر فإذا حضر وبيّن المراد وجب تصديقه ولا يجوز تكذيبه والقول بأن هذا ليس مرادك أو أني أعلم بمرادك منك فمن أسخف الأقوال وأشنع الأفعال بل خروج عن ضرورة الإسلام وتكذيب بما جاء به النبي عليه وآله السلام.

وهؤلاء لا يخلو إما أنهم منكرون أن الظاهر لا يعارض النص وأن النص في كل كلام بيان المتكلم مراده وأن الكاتب إذا كتب ثم فسَّر كيفما يشاء مما يتناوله اللفظ وأنكر إرادة ذلك المعنى فإنه يقبل منه وإنه لا يقال للمتكلم أنا أعلم بمرادك منك لا سيما إذا كان الكلام جارياً على اصطلاحات لا يعرف الناظر تلك الاصطلاحات ولا تلك الجهات. فإن كانوا ينكرون هذه الأمور فعلى الإسلام السلام لا يخضر للإسلام عود ولا يقوم للإيمان عمود .

ولا ريب أن إنكار ضرورة الإسلام كفر. ولا ريب أن منكر ما ذكرناه كفر فان لم ينكروها لكنهم لم يجروها في أمرنا فلا ريب أن ذلك فسق كالذي يرى وجوب الصلوة ثم لا يصليها.

فيالله العجب من أناس دعتهم الشهوات النفسانية والمكائد الإبليسية إلى أن أوقع نفسه في إحدى المحذورين ولا ثالث في البين وشيع الفاحشة لتوهمها في

(١) النساء ٩٤ .



الذين آمنوا والله سبحانه يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ﴾[1] . وقد قال الله سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ﴾[2] .

ولا ريب أن المؤمن أكرم على الله من المؤمنة والرمي بالكفر والغلو والتصوف أعظم من الرمي بالزنا فانظر ماذا ترى ؟

وقد شرحت هذه المسئلة وفصلتها وبينتها وأوضحت خافيها وأجبت عن جميع ما يمكنهم التشبث به بأكمل تفصيل وأوضح بيان في رسالتنا المسماة بـ(دليل المتحيرين) في جواب المسئلة التي أتتنا من بندر أبي شهر فإن فيها ما يشفي العليل ويروي الغليل فاطلبها وانظر إليها بعين الإنصاف وتجنب عن عادة الجور والاعتساف وتمسك بها واعمل على مدلولها فإنها والله هو الحق الذي لا يشوبه شيء من الباطل ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِْصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[3] ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرامِي وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾[4] وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

وفرغ من إملائها منشئها في الخامس عشر من شهر ربيع المولود سنة ثمانية وخمسين بعد المائتين والألف في جزيرة تسمى بالحصوة قريب مسجد الكوفة حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً راجياً والحمد لله رب العالمين .

---

(١) النور ١٩ .
(٢) النور ٢٣ .
(٣) هود ٨٨ .
(٤) هود ٣٥ .



الفهرس



